سلسلة البحوث العلمية المحكمة ٦٥

المدخل إلى التفسير الموضوعي

إعداد
أ.د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في جامعة القصيم

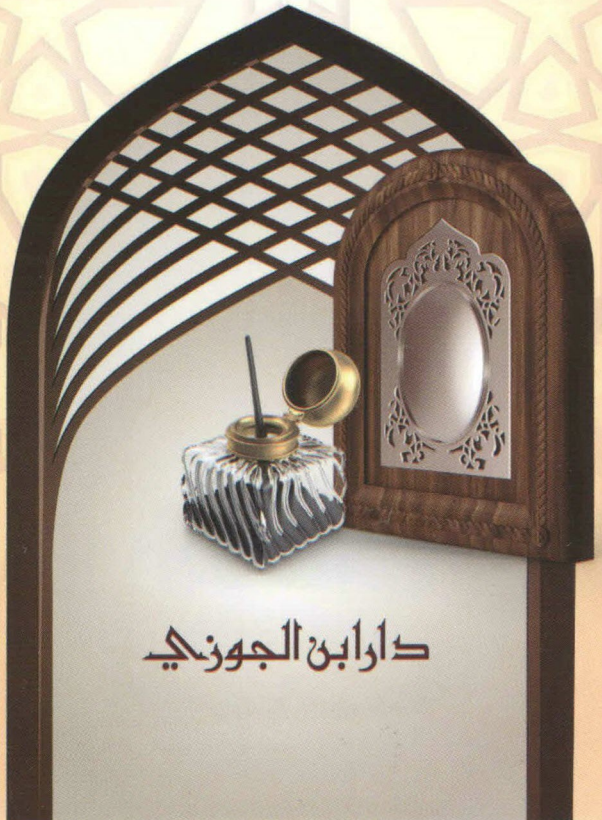

دار ابن الجوزي

المدخل
إلى التفسير الموضوعي

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣
٨٤١٢١٠٠
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي: ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوّال: ٠٥٠٢٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩
جوّال: ٠٥٩٢٠٤١٣٧١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٢٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
aljawzi.net

ح) إبراهيم صالح الحميضي، ١٤٣٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحميضي، إبراهيم صالح
المدخل إلى التفسير الموضوعي / إبراهيم صالح الحميضي
الدمام، ١٤٣٧ هـ
٢٠٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٦-٢٤٦١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن التفسير الموضوعي أ. العنوان
ديوي ٢٢٧٫٠٦ ١٠٤٠٠ / ١٤٣٧

حقوق الطبع محفوظة

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ
(مَزِيدَة ومُنقَّحَة)
(١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م)

الباركود الدولي: 9786030224616

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٤٢هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

المُقدِّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن من الأساليب المعاصرة في تفسير القرآن الكريم: التفسير الموضوعي، فقد انتشر في هذا الزمن، وصار له منهج خاص في العَرْض والكتابة، وأُلفتْ فيه رسائلُ وأبحاثٌ كثيرة، حتى لا يكاد يوجد موضوع قرآني إلا وفيه رسالة علمية أو كتاب أو بحث مختصر، كما كُتبتْ مؤلفاتٌ ورسائلُ عديدة في تفسير السور القرآنية تفسيراً موضوعيّاً.

وهو أسلوبٌ جيد نافع، سواءٌ كان في مجال الكتابة أم في مجال المحاضرة، ولا سيما في علاج القضايا المعاصرة وبيان هَدْيِ القرآن فيها.

وحينما توليتُ تدريس مقرر «التفسير الموضوعي» في الجامعة، وفي بعض الدورات العلمية القرآنية، لم أجد كتاباً مختصراً محرَّراً يناسب الطلاب ولا سيما المبتدئين، حيث إن المؤلفات فيه ـ وهي كثيرة كما يأتي في المبحث الثالث ـ لا تخلو من نقص في مسائل التأصيل، أو طول في جانب التمثيل، أو استطراد في العرض والمناقشة والنَّقد، ومنها ما فيه مبالغة في بيان منزلة هذا الأسلوب، وتهوينٌ من شأن الأساليب الأخرى في التفسير، ولعل ذلك بسبب حداثة هذا الأسلوب، واختلاف الباحثين في بعض مسائله.

ولذلك رأيت الحاجةَ داعيةً إلى كتابة مقدماتٍ تأصيليةٍ مختصرةٍ وافيةٍ بمسائلة، مع ذكر أمثلة تطبيقية كذلك.

فاستعنت بالله، وكتبت هذا المختصر، وسَمَّيْتُهُ: **(المدخل إلى التفسير الموضوعي)**

وقد جعلته في قسمين:

القسم الأول: **التأصيل**، واشتمل على سبعة مباحث، ذكرتُ فيها: تعريفَ التفسير الموضوعي، وأهميته، ونشأته، وأهم المؤلفات فيه، ومجالات البحث فيه، والخطوات الإجرائية لكتابته، كما تعرَّضتُ لبيان مبحثين لهما علاقة وطيدة بالتفسير الموضوعي وهما: علم المناسبات وعلاقته بالتفسير الموضوعي، والوَحْدَة الموضوعية في السورة القرآنية، وهي وافيةٌ بمعايير الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، مع إضافات مُهِمَّةٍ.

والقسم الثاني: **التمثيل**: وذكرت فيه ثلاثة أمثلة:

المثال الأول: دراسة موضوع قرآني دراسة موضوعية.

والمثال الثاني: دراسة سورة قرآنية دراسة موضوعية.

والمثال الثالث: دراسة مفردة قرآنية دراسة موضوعية.

واكتفيتُ بها تخفيفاً لحجم الكتاب، واكتفاءً بالأمثلة التطبيقية المتنوعة التي يُفترضُ أن يقومَ بها الدارسُ للكتاب، تحت إشراف أستاذ مختص.

وهنا أُحب التنبيه إلى أهمية العناية الكبيرة بجانب التطبيق العملي لمنهج الكتابة في هذا اللون، من خلال تدريبات وبحوث مختصرة أو متوسطة، داخل قاعة الدراسة وخارجها؛ حيث إن اكتساب مهارة الكتابة فيه لا تتم إلا بالممارسة العملية.

وقد سلكتُ في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي، والتزمت بإجراءات البحث العلمي المعروفة، واختصرت الحديث، مع تسهيل العبارة، كما وَضَعْتُ أَهدافاً عامةً للمقرر، وأضفت خرائطَ ذهنيةً لتوضيح موضوعات الكتاب واستظهارها، وختمتُ كلَّ قسم بأسئلة وتدريبات عملية.

وفي الختام، أحمد الله تعالى على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث، كما أشكر الزملاء الذين تفضَّلوا بمراجعته قبل صدوره، وأرجو من إخواني القراء، ولا سيما الأساتذة الذين يتولون تدريسه الإفادة بما يجدونه من ملحوظات، وما يرون إضافته من مسائل وتنبيهات.

وأسأل الله ﷻ التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل، كما أسأله أن يجعلنا من أهل القرآن المتبعين له، وأن يجعله حجة لنا وشفيعاً يوم لقاه. إن ربي قريب مجيب.

كتبه
أ. د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في جامعة القصيم
١١/ ٣/ ١٤٣٧هـ
lb1430@gmail.com

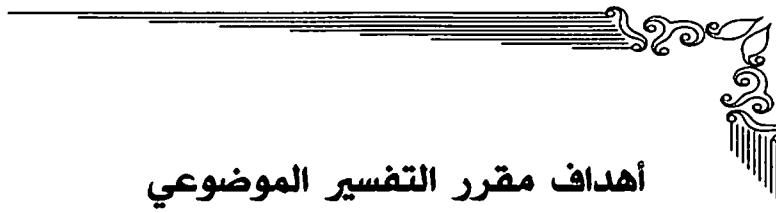

أهداف مقرر التفسير الموضوعي

يهدف هذا المقررُ إلى إكساب الدارس المعلومات والمهارات اللازمة للكتابة في التفسير الموضوعي، ويُفْتَرَضُ أن يكون الطالبُ بعد دراسته هذا المقررَ قادرًا على:

١ ـ أَنْ يُعرِّف التفسير الموضوعي لغةً واصطلاحاً.

٢ ـ أَنْ يُبيِّن مراحل نشأة التفسير الموضوعي.

٣ ـ أَنْ يذكر أهم المؤلفات في التفسير الموضوعي.

٤ ـ أَنْ يُبيِّن مجالات التفسير الموضوعي المختلفة، وآراء الباحثين فيها.

٥ ـ أَنْ يجمع الآيات الواردة في الموضوع القرآني، ويصنِّفَها.

٦ ـ أَنْ يُوضِّح علم المناسبات، ويوظِّفه في التفسير الموضوعي.

٧ ـ أَنْ يُعرِّف الوَحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ويبين علاقتها بدراسة السورة القرآنية.

٨ ـ أَنْ يستطيع الكتابةَ في التفسير الموضوعي كتابةً سليمة، وفق الخطوات والضوابط المنهجية المتَّبعة.

٩ ـ أَنْ يوظِّف أُسلوبَ التفسير الموضوعي في تقريب معاني وهدايات القرآن الكريم للناس، وتنزيل دلالاتها على الواقع.

القسم الأول

التأصيل

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: أهمية التفسير الموضوعي وفوائده.

المبحث الثالث: نشأة التفسير الموضوعي وأهم المؤلفات فيه.

المبحث الرابع: مجالات التفسير الموضوعي.

المبحث الخامس: خطوات البحث والكتابة في التفسير الموضوعي.

المبحث السادس: علم المناسبات وعلاقته بالتفسير الموضوعي.

المبحث السابع: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

المبحث الأول

تعريف التفسير الموضوعي

أولاً: التعريف اللغوي:

ـ التفسير الموضوعي مركب وصفي من كلمتين: تفسير، موضوعي.

ـ والتفسير في اللغة: الإيضاح والبيان، والكشف عن المغطَّى[١].

ـ وفي الاصطلاح له تعريفات كثيرة، من أوضحها وأوجزها: بيان معاني القرآن الكريم[٢].

ـ والموضوعي: نسبة إلى موضوع، مأخوذ من الوضع، وهو إلقاء الشيء في المكان أو إثباته فيه[٣]، سمّي بذلك لأن المفسِّر هنا يَبْقَى أو يَلْزمُ معنى معيناً لا يتجاوزه حتى يفرغ من بيانه، ويتتبع الآيات الواردة في شأنه[٤].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

هناك عِدَّةُ تعريفات للتفسير الموضوعي، منها ما يقتصر على مجال واحد من مجالاته، ومنها يشمل مجالاته، ومنها ما هو أقرب إلى الوصف والشرح وبيان إجراءات البحث فيه، ومن تعريفاته المختصرة ما يلي:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ٢/ ٣٥٥، ولسان العرب ٦/ ٣٤١٢.

(٢) أصول في التفسير لابن عثيمين ص٢٨.

(٣) انظر: القاموس المحيط ٣/ ١٢٤، والمعجم الوسيط ص١٠٣٩، وليس المرادُ المصطلح المعاصر للموضوعية: وهي العدل والنزاهة في الحكم على الآراء.

(٤) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي ص٢٣.

- «بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة»[١].

- «علم يُعنى بالكشف عن موقف القرآن من قضية ما، في ضوء ما يتصل بها من آيات، ضمن منهج ذي مجالات وخطوات»[٢].

- «الكشف الكلي عن مراد الله ﷻ في قضية قرآنية بحسب الطاقة البشرية»[٣].

وقد عرَّفتهُ بقولي:

- هو الكشف الكلي عن موضوع من موضوعات القرآن، وفق منهج مخصوص.

والمراد بالكشف الكلي: البيان الشامل للموضوع، وهذا القيدُ يُخرج الكشف الجزئي الذي يتمثل في التفسير التحليلي.

وقولي: وفق منهج مخصوص؛ يعني: أن هذا التفسير الكلي يكون وفق طريقة وخطواتٍ معينة يلتزم بها الباحث.

ولعل هذا التعريفَ يُدخلُ مجالَ البحث في السورة القرآنية؛ فإنه كشف كلي لأغراضها ومقاصدها، وفق منهج خاص لدراستها.

ثالثاً: أساليب التفسير وصلة التفسير الموضوعي بها:

التفسير الموضوعي هو أحد أساليب[٤] عرض وكتابة التفسير، وقد

---

(١) وهذا تعريف أستاذنا الدكتور مصطفى مسلم، انظر: مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم ص١٢.

(٢) وهذا تعريف الأستاذ الدكتور زيد بن عمر العيص، انظر: التفسير الموضوعي بين التأصيل والتمثيل ص٢٠.

(٣) وهذا تعريف الدكتور سامر رشواني، انظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص٤٥.

(٤) المراد بالأساليب هنا: طُرُقُ التعبير، وقد أطلق بعضُهم على التفسير الموضوعي لفظَ منهج، أو اتجاه، أو علم، ولا مشاحة في ذلك لسعة هذه المدلولات، لكن غلب إطلاقُ المنهج على طريقة التأليف، أو طريقة المفسِّر في بيان =

حصرها كثير من المعاصرين[١] في أربعة أساليب، هي:

أولاً: التفسير التحليلي:

وهو بيان معاني الألفاظ في الآية، وإيضاح إعرابها، وبلاغتها، وذكر ما ورد فيها من قراءات، وأسباب نزول، وأحكام، وإيراد أقوال المفسرين فيها، حسب ترتيبها المصحف، وعلى هذا الأسلوب جرى عامةُ المفسرين، على تفاوت بينهم في الطُّول والاختصار، وتنوعٍ في المناهج، والاتجاهات، ومنها: تفسير الطبري، وابن عطية، والزمخشري، والواحدي، والقرطبي، وابن كثير، وابن جُزي، والجلالين، وغيرها.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وهو بيان المعنى العام للآيات القرآنية، دون دخول في تحليل الألفاظ، ومن أمثلته: تفسير السَّعْدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، وتفسير الشيخ محمد المكي الناصري، والتفسير المُيسَّر، ألَّفه مجموعة من العلماء، ونشره مَجْمَعُ الملك فهد في المدينة النبوية.

ثالثاً: التفسير المُقَارَن:

وهو بيان الآيات القرآنية بإيراد أقوال المفسرين فيها وأدلتهم، مع الموازنة بين آرائهم، وبيان الراجح منها[٢]، مثل تفسير ابن جرير، وابن عطية، والشنقيطي، وغيرها.

وقد توسَّع بعضُهم في ذكر وجوه المقارنة فذكر منها: المقارنة بين

= معاني القرآن، أمَّا الاتِّجاه: فهو الهدف الذي يريد المفسِّرُ تحقيقَه من تفسيره، ويعتني ببيانه أكثر من غيره، كبيان الأحكام الفقهية (الاتجاه الفقهي)، أو بيان بلاغة القرآن (الاتجاه البلاغي)، وهكذا. وقد يُطلق أحدهما بمعنى الآخر، أما إطلاق لفظ: (عِلْم) عليه فغير وجيه؛ لأنه ليس علماً مستقلاً، بل هو منهج أو أسلوب من أساليب التفسير.

(١) أول من رأيته قسَّمها هذه الأقسامَ الأربعة الشيخُ احمد الكومي في التفسير الموضوعي ص٩ وما بعدها، وأطلق عليها: أنواع التفسير، وتابعه كثيرون.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لأحمد الكومي ص١٧، والمدخل إلى التفسير الموضوعي ص١٧، والتفسير أساسياته واتجاهاته ص٢٠٦، والتفسير المقارن بين النظرية والتطبيق ص٤٣.

اتجاهات المفسرين، والمقارنة بالأحاديث النبوية، أو بما ورد في الكتب السابقة[١].

وفي رأيي أن هذا الأسلوبَ أو النوعَ راجع إلى التفسير التحليلي، لكن أصحاب التفسير التحليلي متفاوتون في إيراد أقوال المفسرين والموازنة بينها، وأكثر كتب التفسير المبسوطة تذكر أقوال المفسرين وتوازن بينها وتبيِّن الراجح منها، ولذلك لا نستطيع أن نقول إن هذا الأسلوب مستقلٌّ عن أسلوب التفسير التحليلي.

وأمَّا إدخال وجوه المقارنة الأخرى فهو تكلُّف ظاهر، ووجودها في مواضع من كتب التفسير لا يعني أنها أسلوب مستقلٌّ مقصود، بل يَتَعرض لها المفسِّر كما يتعرض لغيرها من المباحث المتمِّمة لبيان معاني الآيات.

رابعاً: التفسير الموضوعي:

وهو مجال الحديث في هذا الكتاب.

وقد يوجد شيء من التداخل بين هذه الأساليب، ولا سيما بين الأول والثاني، فتجد بعض المؤلفين في التفسير التحليلي يميل إلى الصياغة الإجمالية في بعض المواضع، والعكس كذلك، حيث يحتاج بعض أصحاب التفسير الإجمالي إلى الوقوف عند كلمة معينة ويحلِّلُها، والعبرة بالمَنْحَى الغالب على التفسير.

وبعض التفاسير المعاصرة انتهجتْ أكثرَ من أسلوب، حيث تقسم السورة إلى مقاطع، والمقاطع إلى فقرات، فتبين معاني الألفاظ الغريبة، ثم تذكر التفسير الإجمالي، ثم هدايات وفوائد الآيات، وبعضها يذكر أيضاً مشكل الإعراب، والقراءات، واللطائف البلاغية، مثل تفسير المراغي، والتفسير المنير للزُّحَيلي، وأيسر التفاسير للجزائري، والتفسير المنهجي، لفضل حسن عباس وزملائه.

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لأحمد الكومي ص١٧، وهو أول من أطلق مصطلح (التفسير المقارن)، حسب علمي.

وأمّا صِلة التفسير الموضوعي ببقية الأساليب فهي واضحة وثيقة، فالتفسير الموضوعي لا يتمُّ إلا بعد التفسير التحليلي للآيات ومعرفة دلالات الألفاظ والجُمل، ثم إن صياغة معاني آيات الموضوع القرآني وعرض هداياته إنما تكون بأسلوب التفسير الإجمالي[١]، وسيتَّضح ذلك عند بيان خطوات الكتابة في التفسير الموضوعي.

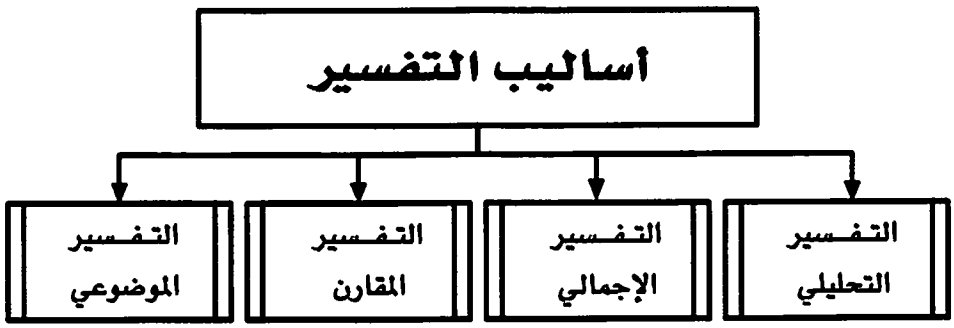

(١) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص٥٣.

المبحث الثاني

أهمية التفسير الموضوعي وفوائده

التفسير الموضوعي من الأساليب المهمة والمفيدة في تقريب معاني القرآن الكريم للناس، ومعالجة القضايا المعاصرة، وتنزيل الآيات القرآنية على الواقع، سواءٌ كان ذلك عن طريق الكتابة أم عن طريق الخطبة والمحاضرة، ومن أهم فوائده ما يلي:

١ ـ أنه يعين على تفسير القرآن بالقرآن، من خلال جمع الآيات الواردة في موضوع واحد، وبيان بعضها ببعض.

٢ ـ أنه يعدُّ لوناً من ألوان التجديد المنهجي المنضبط في كتابة التفسير، وبذلك يسهم في مدافعة التفسيرات المعاصرة المنحرفة التي يزعمُ أصحابُها التجديدَ في التفسير.

٣ ـ بيان ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهدايات الربانية، من خلال الدراسة الموضوعية للآيات والتأمل فيها.

٤ ـ معالجة المشكلات الواقعية من خلال القرآن الكريم، وذلك من خلال النظر في مقاصده، والاعتبار بمواعظه وقصصه وهداياته.

٥ ـ الرد على أهل الأهواء والشُّبه قديماً وحديثاً؛ من خلال جمع ما ورد فيها من آيات وتقديمها بأسلوب موضوعي متكامل، وبذلك يتم نقض هذه الشبهات وإبطالها، وبيان موقف القرآن الصحيح من القضايا التي يثيرونها بسبب نظرتهم القاصرة للنصوص.

٦ ـ إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، وذلك من خلال جمع الآيات الواردة في مجال التشريع والعلوم المعاصرة وبيان دلالاتها المُعجزة[1].

---

(١) من غير تَعَسُّف وتكلُّف في إثبات هذه الوجوه الإعجازية.

٧ ـ تأصيل بعض العلوم المعاصرة وضبط مسارها؛ كالعلوم الاقتصادية والتربوية والنفسية وغيرها وذلك بدراسة ما ورد فيها من آيات وما تحويه من دلائل وهدايات[١].

تنبيه:

بالغَ عددٌ من الباحثين المعاصرين في أهمية التفسير الموضوعي وبيان أهميته وثمراته، فزعموا أن هذا اللونَ من ألوان التفسير هو الذي يجب أن يسود هذا العصر، وهو الأنسب للتدريس في المدارس والجامعات، والأوْلى بالاتباع في هذا العصر، وهو تفسير المستقبل والفكر والحضارة، حيث يبدأ المفسِّرُ فيه بتشخيص الواقع وتحديد حاجات الأمة في جميع جوانبها الفكرية والنظرية والعملية والسلوكية والحضارية والسياسية والاقتصادية، ثم يبحث عن حلولها من خلال آيات القرآن الكريم، ولذلك سيساعد على تحسين أوضاع المسلمين وحل مشكلاتهم.

وفي سياق ذلك هوّنوا من شأن التفسير التحليلي، وأطلقوا عليه: التفسير الموضعي، والتجزيئي، والتقليدي، وزعموا أنه وسيلة لغاية، هي التفسير الموضوعي، وأنه لا ينزل إلى الواقع ولا يعالج مشكلاته، ولا يتجاوز الوقوف على الألفاظ والجُمل، حيث يبدأ المفسِّرُ فيه من القرآن ويبقى معه وينتهي فيه، شارحاً ومحلِّلاً للألفاظ، فهو تفسير نظري يقدم معلومات تفسيرية ثقافية ومجالات علمية متنوعة، ولا يلتفت لواقع الأمة ولا يعالج قضاياها، بل يساعد على إعاقة الفكر[٢]، إلى غير ذلك من الدعاوَى التي لا يخفى بطلانها على الناظر في كتب التفسير التحليلي، ومناهج المفسرين فيه في جميع القرون.

وكون كُتب التفسير التحليلي لم تتعرض بالتفصيل لما يقع من قضايا ونوازل لا يعني ذلك عدمَ اهتمامها بشأن الأمة ومعالجة قضاياها، فإن هذه

---

(١) انظر لما سبق: التفسير الموضوعي للكومي ص١٧، مباحث في التفسير الموضوعي ص٢١، المدخل إلى التفسير الموضوعي ص٤٠، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص٨٧.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي في المدرسة القرآنية ص٧، ٤٨، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ص٤٢، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص٩، ٦٢.

الوقائع والنوازل تزول وتتغير بتغير الأزمان[١]، وإذا عرف الناسُ معاني القرآن وفهموا مقاصده استطاعوا معالجة قضاياهم من خلال توجيهاته وهداياته.

وقد تقدم بيانُ أهمية التفسير الموضوعي ودوره في معالجة بعض القضايا المعاصرة في دراسات قرآنية مستقلة، وهذا لا يلزم منه إلغاء التفسير التحليلي في هذا العصر، أو الحطّ من شأن التفاسير القديمة والحديثة التي كانت مكتوبةً بأسلوب التحليل.

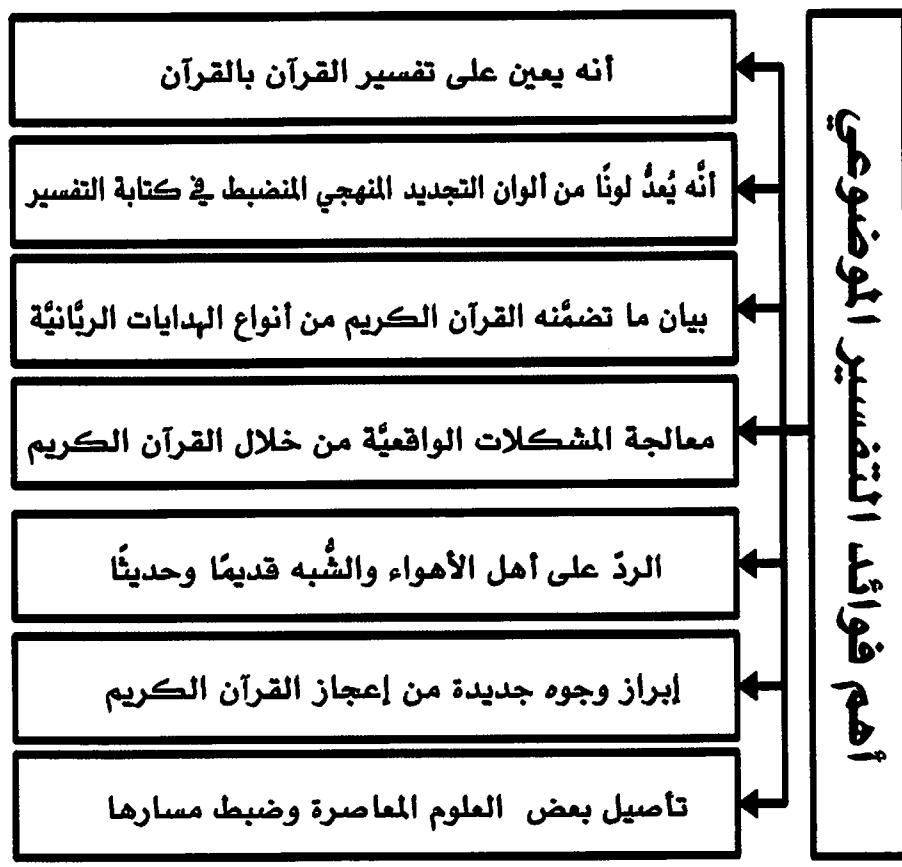

(١) علماً أن بعض كتب التفسير التحليلي القديمة والحديثة تعرَّضت لتنزيل آيات القرآن على الواقع. انظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، لعبد العزيز الضامر.

المبحث الثالث

نشأة التفسير الموضوعي وأهم المؤلفات فيه

التفسير الموضوعي بهذا المفهوم والمنهج لم يظهر إلا في العصر الحاضر، وتحديداً في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، من خلال بعض الرسائل والمقررات الدراسية في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر في مصر.

ولا يعني هذا عدمَ وجود أصلٍ لهذا الأسلوب من أساليب التفسير، ولعله يدخل في عموم تفسير القرآن بالقرآن، المعروف منذ نزول القرآن؛ حيث إن آيات القرآن يفسر بعضُها بعضاً، وكان مفسرو السلف ومَن جاء بعدهم يستنبطون من خلال جمع الآيات الواردة في موضوع واحد معانيَ وأحكاماً، وينصُّون على كليات الألفاظ فيه، ويدفعون ما يوهم التعارض بين آياته.

كما أن هناك طُرقاً ومؤلفات عديدة للمتقدمين يمكن أن تكون أصلاً ونواةً له، وإن لم يصحَّ إطلاقُ مصطلح التفسير الموضوعي عليها، ومن ذلك:

١ ـ المؤلفات التي جمعتْ عدداً من الآيات في موضع أو باب معين، مثل كُتب الوجوه والنظائر، والناسخ والمنسوخ، وأحكام القرآن، وغيرها، وقد بدأ التأليفُ في هذه الأنواع في القرن الثاني الهجري.

٢ ـ المؤلفات التي كَتَبَها بعضُ العلماء في موضوعات معينة في القرآن، وهي وإنْ لم تكن على منهج التفسير الموضوعي المعاصر، إلا أنها تعتبر مظهراً من مظاهر جمع الآيات المتعلقة بموضوع معين، مثل: «أقسام القرآن»، لابن القيم، و(المواعيد المُنْتَجَزَة من الله تعالى في كتابِهِ لرسوله ﷺ وللمؤمنين) لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (ت٣٩٢هـ)[١].

---

(١) ذكره ابنُ خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) في فهرسته ص٣٣٥، والكتاب مفقود حسب =

أما الجهود الحديثة التي يرى عددٌ من الباحثين أنها مهّدت لظهور التفسير الموضوعي فيمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ كِتَاباتُ ودروس مدرسة المنار، حيث كتب جمالُ الدين الأفغاني (ت١٣١٥هـ) المقالة التفسيرية، في مجلة العروة الوثقى، كذلك كتب تلميذُه محمد عبده (ت١٣٢٣هـ) عدة مقالات تفسيرية، وألقى محاضرات ودروساً تفسيرية، برزتْ فيها ملامحُ التفسير الموضوعي، وإن كانت ممزوجةً بالتفسير التحليلي، وهكذا جَمَعَتْ بعضُ جهود أتباع هذه المدرسة بين الأسلوب التحليلي والموضوعي كما في تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، وتفسير المراغي (ت١٣٦٤هـ)، وتفسير محمود شلتوت (ت١٣٨٣هـ).

ولذلك يرى بعضُ الباحثين أن التفسير الموضوعي نشأ في مدرسة المنار العقلية.

٢ ـ ومن الجهود التي أسهمت في ظهور التفسير الموضوعي كتابات مدرسة الأمناء على يد أستاذها أمين الخولي (ت١٣٨٥هـ)، الذي أفاد من مدرسة المنار، ونهج ما يسمى الأسلوب البياني أو الأدبي في التفسير.

٣ ـ كما كتبَ بعضُ المستشرقين موضوعاتٍ تشير عناوينُهَا إلى انتهاجهم أسلوب الدراسة الموضوعية، مثل: «السَّامريون في القرآن»، لجوزيف هاليفي، نشر عام ١٩٠٨م، «إبراهيم في القرآن»، لفان جنيب، نشر عام ١٩١٢م، «اليهودية والنصرانية في القرآن»، لبومشتارك، نشر عام ١٩٢٧م.

٤ ـ وإلى جانب ذلك وُجدتْ في هذا العصر كتاباتٌ متنوعة نحَتْ منحى التفسير الموضوعي، ومن ذلك: «العرب في القرآن» و«تفسير المعوِّذتين» لعبد الحميد بن باديس (ت١٣٥٩هـ)، و«المرأة في القرآن»، لعباس محمود العقاد (ت١٣٨٣هـ)، و«المصطلحات الأربعة في القرآن»، لأبي الأعلى المودودي (ت١٣٩٩هـ)، و«دستور الأخلاق في القرآن» و«النبأ العظيم»،

= علمي، وقد أفادني بهذه المعلومة د. نبيل بن أحمد بلهي الجزائري ـ جزاه الله خيراً ـ، بعد اطلاعه على هذا الكتاب، في طبعته الأولى.

لمحمد عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ)، وغيرها[١].

أما أولُ من كَتبَ في التفسير الموضوعي وفق منهجية واضحة ـ حسب علمي ـ فهو محمد محمود حجازي (ت١٣٩١هـ) في رسالته العلمية «الوَحْدة الموضوعية في القرآن الكريم»، وقد نوقشت في كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٣٨٦هـ، وطبعت عام ١٣٩٠هـ، واشتملت على قسم تأصيلي قصير، وقسم تطبيقي.

هذه جملةٌ من الأعمال التي صدرتْ في تلك الفترة، وليس بالضرورة أن تكون كلُّها قد أسهمت في ظهور التفسير الموضوعي، أو وَصَلتْ إلى أيدي أصحاب الكتابات الأولى فيه.

ثم توالت المؤلفاتُ فيه بعد ذلك سواء كانت تأصيليةً أم تطبيقية، ولا سيما بعد أن أضحى «التفسير الموضوعي» مادةً مقررة في الجامعات، ومن المؤلفات في تأصيله[٢] ما يلي:

١ ـ «التفسير الموضوعي»، لأحمد السيد الكومي[٣]، وأحمد القاسم.

٢ ـ «البداية في التفسير الموضوعي»، لعبد الحي الفرماوي.

٣ ـ «دراسات في التفسير الموضوعي»، لزاهر بن عواض الألمعي.

٤ ـ «المدخل إلى التفسير الموضوعي»، لعبد الستار فتح الله سعيد.

٥ ـ «مباحث في التفسير الموضوعي»، لمصطفى مسلم.

٦ ـ «دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني»، لأحمد جمال العمري.

٧ ـ «التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل»، لزيد عمر العيص.

---

(١) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر ص٥٠، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ص٥٦، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص١١٠، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص٤٨، ٦٠.

(٢) علماً أن هذه المؤلفات التأصيلية تحتوي على أمثلة تطبيقية.

(٣) والدكتور أحمد الكومي هو شيخ محمد محمود حجازي والمشرف على رسالته، لكن تأخر تأليفه هذا الكتاب، وربما كان مذكرةً بأيدي الطلاب ثم طبع متأخراً.

٨ ـ «التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه»، لزياد الدغامين.

٩ ـ «منهج التفسير الموضوعي دراسة نقدية»، لسامر رشواني.

وغيرها كثير.

أما الكتابات التطبيقية فلا يكاد يوجد موضوع في القرآن إلا وكُتِبَتْ فيه رسالة علمية أو بحث مختصر، أو كتاب، وهناك موسوعة بعنوان: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مطبوعة في عشرة مجلدات، نشرتها جامعة الشارقة، كما صدرت عن دار القلم موسوعة أخرى بعنوان: التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، لعبد الحميد محمود طهماز، في ثمانية مجلدات، كذلك أصدر مركزُ تفسير للدراسات القرآنية بالرياض موسوعةً كبرى بعنوان: (موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) في ستة وثلاثين مجلداً.

ومن المؤلفات المنشورة في الموضوع القرآني، ما يلي:

الهجرة في القرآن الكريم، لأحزمي سامعون جزولي، التقوى في القرآن الكريم، لمحمد إبراهيم الدبيسي، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، لعبد العزيز مصطفى كامل، منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك، لإبراهيم بن صالح الحميضي، الإصلاح والإفساد في ضوء القرآن، لتوفيق علي زبادي، آيات آل البيت في القرآن الكريم الدلالات والهدايات، لمنصور بن حمد العيدي، الحب والبغض في القرآن الكريم، لمها يوسف الجار الله، الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، لسناء محمود عابد.

ومن المؤلفات المنشورة في السورة القرآنية، ما يلي:

قضايا المرأة في سورة النساء، لمحمد يوسف عيد، العواصم من الفتن في سورة الكهف، لعبد الحميد محمود طهماز، تدبُّر سورة الفرقان في وحدة موضوع، لعبد الرحمٰن بن حسن حبنَّكة الميداني، سورة المطففين وأثرها في السلوك وتزكية النفوس، لحسين بن عودة العوايشة.

وبعض هذه المؤلفات المذكورة لم تلتزم التزاماً تاماً بمنهج الدراسة

الموضوعية، وقد يكون في بعضها قصور أو خلل في بعض الجوانب، وليس المقامُ هنا مقامَ نقد وتقييم.

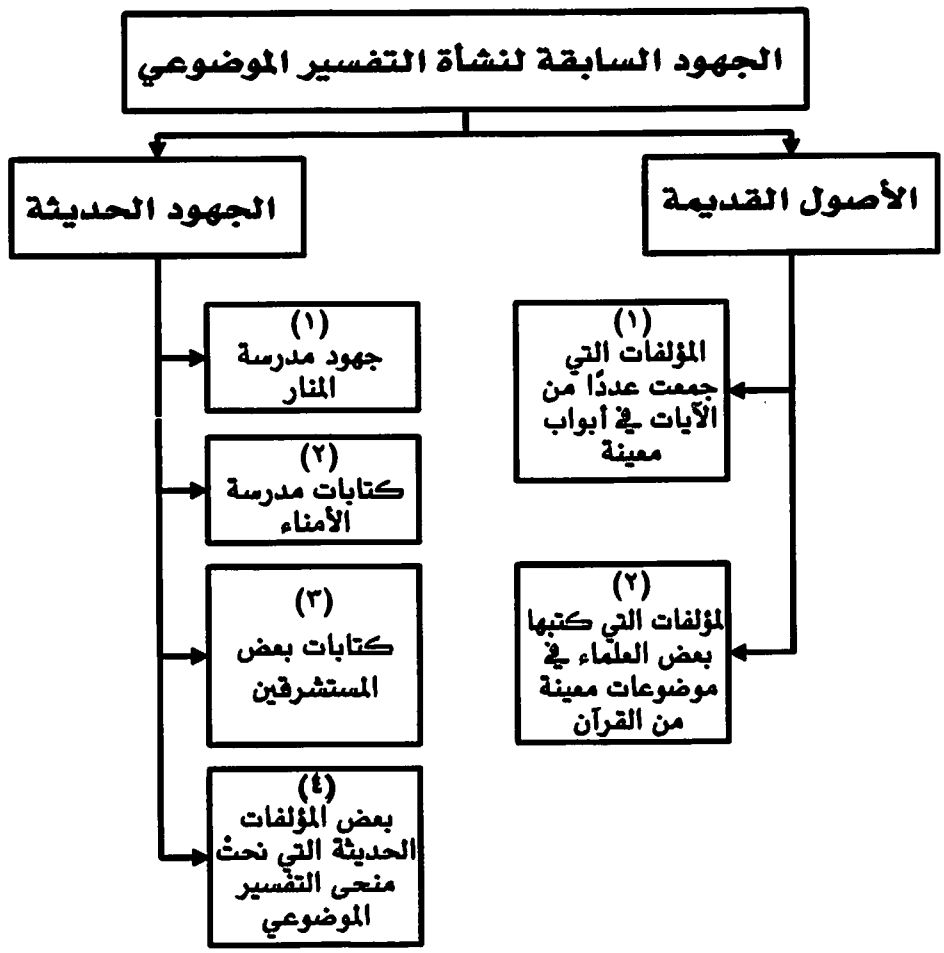

المبحث الرابع

مجالات التفسير الموضوعي

هناك عدة مجالات أو أنواع للتفسير الموضوعي، وقد تفاوت الباحثون في تحديدها، فمنهم اقتصر على مجال واحد، وهو الموضوع القرآني[١]، ومنهم من اقتصر على مجالين هما: الموضوع القرآني، والسورة القرآنية[٢]، ومنهم من جعلها ثلاثة مجالات بإضافة المصطلح أو المفردة القرآنية[٣]، ومنهم مَن جعلها ستة مجالات بإضافة موضوع في سورة، والأدوات أو الحروف، والمقالة القرآنية[٤].

وعند التأمل يظهر أن الرأي الثاني هو الأرجح، وأنهما مجالان فقط، وأكثر الدراسات التطبيقية فيهما، وبيان ذلك كما يلي:

المجال الأول: دراسة موضوع من خلال القرآن الكريم:

وذلك بجمع الآيات الواردة فيه، وتصنيفها، وتفسيرها، وبيان هداياتها، وهذا أشهر المجالات، وهو النوع الوحيد المتفق عليه بين الباحثين، وهو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، والبحوث فيه كثيرة جدّاً، ولا يكاد يوجد موضوع في القرآن الكريم إلا وفيه دراسة، على تفاوت في المنهج والجودة، وقد تقدم في المبحث السابق ذكر عدد من المؤلفات فيه.

---

(١) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي ص٢٥، والتفسير أساسياته واتجاهاته ص٦٤٦.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي ص٢٥، والتفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص٢٢.

(٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص٢٥.

(٤) انظر: التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص١١٤.

المجال الثاني: تفسير سورة تفسيراً موضوعيّاً:

وهو تفسير سورة معينة من خلال التمهيد التعريفي لها، وتقسيمها إلى مقاطع حسب موضوعاتها ومقاصدها، ووضع عنوان لكل مقطع، وتفسيره، وبيان هداياته، وفق المنهج المعروف، وقد قال به أكثرُ الباحثين، وتقدم في المبحث السابق ذكر عدد من المؤلفات فيه.

ومن الباحثين من لمْ يرَ هذا المجال؛ لما يأتي:

١ ـ أن اعتبار هذا المجال مبنيٌّ على القول بوجود الوحدة الموضوعية[١]، وهي أمر تختلف فيه الأنظار، فكيف تُبنى موضوعاتها على هدف مختلف في تحديده؟[٢].

٢ ـ اختلاف منهج البحث والكتابة فيها عن الموضوع القرآني[٣].

٣ ـ أن حرص الباحث على القول بالوحدة الموضوعية قد يؤدي إلى إغفال بعض موضوعات السورة، التي لا تنسجم مع العنوان العام الذي وضعه لها، حفاظاً على هذه الوحدة[٤].

والظاهر أنه لا مانع من اعتبار هذا المجال من التفسير الموضوعي، وأما الاعتراضات السابقة فيمكن الإجابة عنها بما يلي:

١ ـ أن الاجتهاد والاختلاف في تحديد مقصد وهدف السورة أمر سائغ.

٢ ـ أنه لا يلزم تحديد مقصد واحد لتفسير السورة موضوعيّاً، بل تقسَّم السورة حسب موضوعاتها، وتكون الوَحدة الموضوعية خَاصِّيَّةً من خصائص السورة[٥].

---

(١) ويأتي الحديث عنها في المبحث السابع.
(٢) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي لعبد الستار سعيد ص٢٥.
(٣) منهج التفسير الموضوعي، دراسة نقدية ص٢٤٥.
(٤) انظر: البيان القرآني ص١٩٥.
(٥) انظر: المصدر السابق ص٢٤٢ وما بعدها.

٣ ـ وأما كون الباحث يهمل بعض موضوعات السورة حفاظاً على المقصد العام الذي وضعه لها فليس بلازم؛ لأنه يُفترض ألا يضع هذا المقصد إلا بعدما يظهر له ارتباط جميع موضوعاتها به.

وسيأتي مزيد بيان للوَحدة الموضوعية في المبحث السابع.

المجال الثالث: تفسير مصطلح[١] أو مفردة مُعَيَّنَةٍ من خلال القرآن الكريم:

وذلك أن يتتبع الباحثُ لفظةً من ألفاظ القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي وردتْ فيها هذه اللفظة ومشتقاتها، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها، مثل دراسة لفظ أو مفردة: الإحصان، أو المكر، أو الأمة، أو الحق، أو الفتنة، ونحو ذلك[٢].

وهذا اللون في الأصل يرجع إلى ما يُعرف في علوم القرآن بعلم الوجوه والنظائر، ولا يظهر لي دخوله في التفسير الموضوعي المنهجي إلا بتكلُّف وتوسُّع في مدلول ودراسة الألفاظ، وبالتالي يعود إلى الموضوع القرآني.

والكتابة في هذا المجال قليلة بالنسبة إلى المجالين السابقين.

المجال الرابع: دراسة موضوع في سورة معينة، وهو دراسة موضوع معين من خلال سورة مخصوصة، من سورة القرآن الكريم، مثل أصحاب الكهف في سورة الكهف، ووصايا لقمان لابنه من خلال سورة لقمان، وحقوق المرأة في سورة النساء، واليهود من خلال سورة المائدة، وغير ذلك.

وعند النظر في هذا المجال نجد أن الأمثلة الداخلة فيه نوعان:

النوع الأول: أَلَّا يَرِدَ الموضوعُ المدروس إلا في سورة واحدة فقط في القرآن الكريم، وهو دراسة موضوع معين من خلال سورة مخصوصة، من سور

---

(١) وإطلاق (مصطلح) على مفردة من مفردات القرآن الكريم، فيه تجوُّز؛ حيث إن المصطلح ما اتفقتْ على وضعه طائفةٌ مخصوصة. انظر المعجم الوسيط ١/ ٥٢٠.

(٢) علماً أنه يمكن دراسة مدلول هذه الألفاظ وفق منهج دراسة الموضوع القرآني، بضمِّ ما ورد في معناها من ألفاظ أخرى.

القرآن الكريم مثل: أصحاب الكهف في سورة الكهف، ووصايا لقمان لابنه من خلال سورة لقمان، فهذا مقبول من حيث أصل البحث فيه ولكنه راجع إلى المجال الأول، فالباحث في الحقيقة تتبع موارده ولم يجده إلَّا في سورة واحدة.

النوع الثاني: أن يكون الموضوع مذكوراً في سور متعددة؛ كقصة آدم في سورة البقرة، واليهود في سورة المائدة، وصفات المؤمنين في سورة المؤمنون، فالاقتصار في دراسته على سورة واحدة فيه نقص وخلل.

الخامس: دراسة الأدوات الواردة في القرآن الكريم، كأدوات الجر، والعطف، والشرط، وغيرها، وذلك بجمع الآيات التي تضمنت حرف منها ودراستها، كدراسة حرف (إلى) في القرآن الكريم، ويَبعد أن يكون هذا النوع داخلاً في التفسير الموضوعي، بل هذه مباحث لغوية محضة.

السادس: المقالة القرآنية القصيرة[1]، وهي ما يُعدُّه الكاتب للنشر في مجلة أو صحيفة، ينطلق فيها من آية أو آيات قرآنية ويبرز هداياتها.

ومن أمثلتها: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ [عبس: ٧]، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

والظاهر أن انطلاق الكاتب من آية معينة أو استشهاده بها، لا يكفي لإطلاق مصطلح التفسير الموضوعي على كتابته، لافتقاره إلى الشمول وبيان دلالات القرآن الكريم وهداياته حول القضية المطروحة.

---

(١) أما المقالة الطويلة التي يختار فيها الكاتب موضوعاً قرآنياً لم ترد فيه آيات كثيرة، ويحاول الوقوف عند هذه الآيات وإبراز هداياتها، فهذه داخلة في مجال الموضوع القرآني، فالأبحاث في هذا المجال ليست على درجة واحدة، فبعضها طويل مبسوط، وبعضها متوسط، وبعضها قصير، تبعاً لعدد الآيات الواردة في كل موضوع، وهدف البحث، وطريقة الباحث.

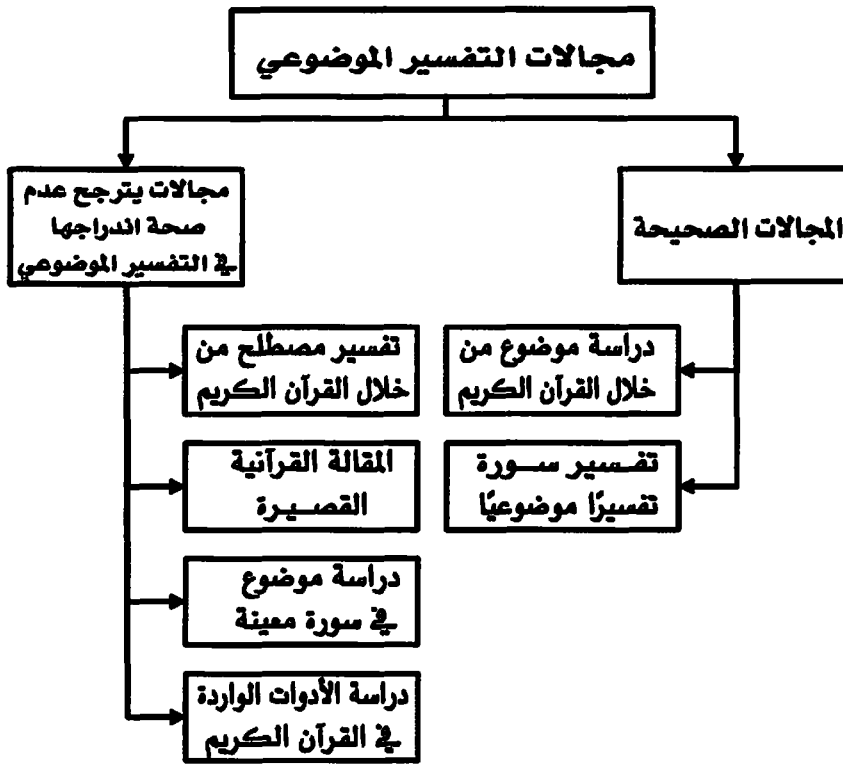
مجالات التفسير الموضوعي
مجالات يترجح عدم صحة اندراجها في التفسير الموضوعي
المجالات الصحيحة
تفسير مصطلح من خلال القرآن الكريم
دراسة موضوع من خلال القرآن الكريم
المقالة القرآنية القصيرة
تفسير سورة تفسيرًا موضوعيًا
دراسة موضوع في سورة معينة
دراسة الأدوات الواردة في القرآن الكريم

المبحث الخامس

خطوات البحث والكتابة في التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي له منهج خاص في الكتابة لا بد من الالتزام به والوفاء بأركانه، مع العلم أن هذا المنهج زائد على المنهج العام المعروف في كتابة الأبحاث العلمية من التخطيط، والتوثيق، وسلامة اللغة والإملاء، وجودة الصياغة، والفهرسة، وحسن الإخراج، وغير ذلك من أدوات الكتابة.

أولاً: خطوات الكتابة في الموضوع القرآني:

ويمكن إجمالها فيما يلي:

١ - تحديد الموضوع المراد دراسته، والتأكد من وجود مادة قرآنية كافية فيه، أما إذا لم يرد فيه إلا آية واحدة أو آيتان أو ثلاث، فلا يناسب أن يُدْرَسَ استقلالاً.

٢ - اختيار عنوان مناسب له، فيه دلالة على الدراسة الموضوعية القرآنية، وَجَمَالُ العُنْوَانِ وَوُضُوْحُهُ له أثر في جذب القارئ وانتشار البحث، إذا صاحبَ ذلك جودةٌ في المحتوى والصياغة.

كذلك ينبغي العناية بعنوانات المباحث الفرعية للموضوع وربطها بالآيات القرآنية.

٣ - جمع الآيات القرآنية الواردة في الموضوع، وذلك من خلال الأدوات التالية:

أ - النظر والتدبُّر في آيات القرآن الكريم، واستخلاص ما له علاقة بالموضوع.

ب ـ الرجوع إلى المعاجم اللفظية[١]، والموضوعية[٢]، والإلكترونية، للقرآن الكريم، وهناك معاجم أو فهارس حديثة كثيرة للقرآن الكريم[٣].

فمن المعاجم اللفظية: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، الذي أصدره المَجْمَع اللغوي في القاهرة، والمعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الله جلغوم، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، لأحمد مختار عمر، وغيره.

ومن المعاجم الموضوعية: تفصيل آيات القرآن الحكيم، للمستشرق جول لابوم، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، تصنيف آيات القرآن الكريم، لمحمد محمود إسماعيل، المعجم المفصَّل لمواضيع القرآن المنزَّل، لمحمد خليل عيتاني، المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، لحسان عبد المنان. وغيرها كثير.

وهناك مصاحفُ إلكترونية عديدة فيها خاصية البحث اللفظي والموضوعي في القرآن الكريم.

ولا تغني معاجمُ الألفاظ عن معاجم الموضوعات؛ لأن الموضوع الواحد قد يَرِدَ بألفاظ مختلفة. كذلك لا ينبغي الاعتماد على البحث الإلكتروني عن اللفظ؛ لأن الألفاظ تَرِدُ في القرآن بتصريفات مختلفة، قد يفوت بعضُها على الباحث.

ج ـ المؤلفات التي تحدثت عن الموضوع، وإن كانت في علوم أخرى، فإن بعض الباحثين يجمع كل ما يتعلق بموضوع بحثه من نصوص.

---

(١) المعاجم اللفظية للقرآن: هي الكتب التي جمعتْ ألفاظَ القرآن الكريم، مرتبةً ترتيباً هجائياً، مع بيان مواضعها في المصحف.

(٢) المعاجم الموضوعية للقرآن: هي الكتب التي عُنِيَتْ بجمع وتصنيف موضوعات القرآن الكريم، وذكر ما يندرج تحتها من آيات.

(٣) هناك مناهج متعددة للأعمال المعجمية حول ألفاظ القرآن الكريم وموضوعاته. انظر المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ص٩، والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الرحمن بن محمد الحجيلي، ضمن أبحاث (ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم) ٤/ ٢٩١.

٤ ـ دراسة تفسير هذه الآيات، ومعرفة معناها، وزمن وسبب نزولها، وأقوال المفسرين فيها، وهذه مرحلة تحضيرية متقدمة على الكتابة، والهدف منها معرفة معاني الآيات المدروسة.

٥ ـ تقسيم الموضوع إلى عناصر أو فصول ومباحث، مرتبة ترتيباً منهجيّاً، فعند علاج قضية معينة من خلال القرآن الكريم مثلاً، يكون تقسيم الموضوع على النحو التالي: مقدمة فتمهيد للموضوع، ثم تذكر الأسباب، ثم المظاهر، ثم الآثار، ثم العلاج، وقد تقتضي طبيعةُ الموضوع وما ورد فيه من آيات قرآنية تقسيماً آخرَ، أو زيادة مباحث أو حذف أخرى.

أما مالم يردْ فيه آيات فلا يفرد له مبحث خاص تكون مادته كلها من غير القرآن، كما يفعل ذلك بعض الباحثين، بل يُشار إليه في ثنايا المباحث الأخرى.

أما الاستدلال بالأحاديث والآثار والشواهد الأخرى لإيضاح دلالات الآيات فهو مطلوب، مع مراعاة عدم الإكثار منها حفاظاً على قرآنية الموضوع.

٦ ـ تفسير الآيات تفسيراً إجماليّاً، وذلك بذكر المعنى العام للآيات دون دخول في تحليل الألفاظ ووقوف عند الغريب والقراءات والإعراب ونحو ذلك.

وقد تقتضي الحاجة الوقوف عند بعض هذه الأمور التحليلية لوجود خلاف قوي في أحد المعاني، أو ورود قراءة تفيد معنى زائداً له أثر في الموضوع، أو وجه إعرابي كذلك، فهنا لا بأس في التحليل، ويمكن الإشارة إلى ذلك في الحاشية إن كان ذلك يَفِي بالمقصود.

٧ ـ بيان مكان نزول الآيات، هل هو في المرحلة المكية أم المدنية، وإبراز الخصائص الموضوعية لمرحلة النزول أثناء العرض الإجمالي للموضوع[1].

٨ ـ استنباط ما تحتوي عليه الآيات من لطائف وهدايات، ويتم التركيز على الفوائد والهدايات الإيمانية والتربوية والعِظات والعِبر، كما

---

(١) وقد ذكرَ بعضُ الباحثين من ضمن خطوات البحث: ترتيب الآيات حسب النزول، وبغض النظر عن إمكان تحديد تاريخ نزول جميع الآيات، فإنه لا حاجة لذلك في البحث الموضوعي، بل يكفي معرفة المكي والمدني منها.

يُشار للطائف البلاغية مع ذكر أسرار التعبير القرآني من غير تَكَلُّف.

٩ ـ ربط الآيات بالواقع، ومحاولة تنزيلها على القضايا المعاصرة، من غير استطراد وإغراق في توصيف الواقع ومشكلاته.

ثانياً: خطوات البحث والكتابة في تفسير السورة القرآنية:

هناك أمور مشتركة بين هذا المجال والمجال السابق، وهناك إجراءات خاصة بمنهج الكتابة في السورة القرآنية، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ التمهيد التعريفي بالسورة، بذكر أسمائها التوقيفية والاجتهادية، وعدد آياتها، وفضائلها إن ثبت لها فضل خاص، ومكان نزولها، وسببه إن وجد، وموضوعاتها، ومناسباتها من غير تكلُّف، وسيأتي بيان أنواع المناسبات في المبحث التالي.

وهذا التمهيد مهمٌّ جدّاً، فهو يعين الباحثَ والقارئ على فهم السورة، ومعرفة سبب نزولها، وموضوعاتها، وحال المخاطبين فيها، ويرجع فيه إلى كتب علوم القرآن الشاملة، والمُفردة، وكتب التفسير التي تهتم ببيان علوم السور.

٢ ـ معرفة تفسير السورة معرفةً وافية، والاطلاع على أقوال المفسرين فيها، وهي خطوة تحضيرية سابقة للكتابة كما تقدم، والهدف منها فهم معاني الآيات، والقدرة على استنباط هداياتها.

٣ ـ محاولة التعرف على الوحدة الموضوعية في السورة، أو محور السورة الذي تدور حوله موضوعاتها، فإن كانت سورةً طويلةً فقد يكون لها أكثر من مقصد، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه القضية في المبحث السابع.

وبعضُ الباحثين يجعل محور السورة أو مقصدها الأساس عنواناً لدراسته حول السورة، ومن أمثلة ذلك: «العواصم من الفتن في سورة الكهف»، «تصوُّر الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام»، «ركائز المجتمع المسلم في سورة الحجرات»، والغالب الاقتصار على اسم السورة مع الإشارة أنها موضوعية، فيقال: سورة كذا دراسة موضوعية، أو التفسير الموضوعي لسورة كذا.

٤ ـ تقسيم السورة إلى مقاطع، مع وضع عنوان مناسب لكل مقطع، وهذا في السور الطويلة والمتوسطة، أما السور القصيرة فقد لا تحتمل التقسيم، بل تدرس جملةً.

٥ ـ ذِكْرُ المناسبات بين مقاطع السورة وآياتها، أما مناسبة السورة لما قبلها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها، فتذكر في التمهيد كما تقدم.

٦ ـ تفسير كل مقطع تفسيراً إجماليّاً، مع ربط المقاطع بعضها ببعض، وبيان صلتها بمحور السورة.

٧ ـ ذِكْرُ ما يؤخذ من كل مقطع من فوائد ولطائف وهدايات.

٨ ـ ربط آيات السورة بالواقع، وتنزيل هداياتها على القضايا المعاصرة.

وهذه الثلاث الأخيرة تقدم ذكرها في خطوات دراسة الموضوع القرآني، مع بيان ضوابطها ومحترزاتها.

ويلاحظ أن بعض الأبحاث المكتوبة في التفسير الموضوعي لا يكاد يوجد فيها من الصِّبغة الموضوعية إلا العنوان، أما طريقة الكتابة فهي تحليلية أو خليط بين التحليل والإجمال، ولا ذكر فيها للمناسبات، ولا المقاصد، ولا الهدايات، ولا ربط فيها للموضوع بالواقع، فينبغي التَّنبه لذلك والحرص على الالتزام بمنهج الكتابة في التفسير الموضوعي الذي هو ـ في الجملة ـ محل اتفاق بين الباحثين.

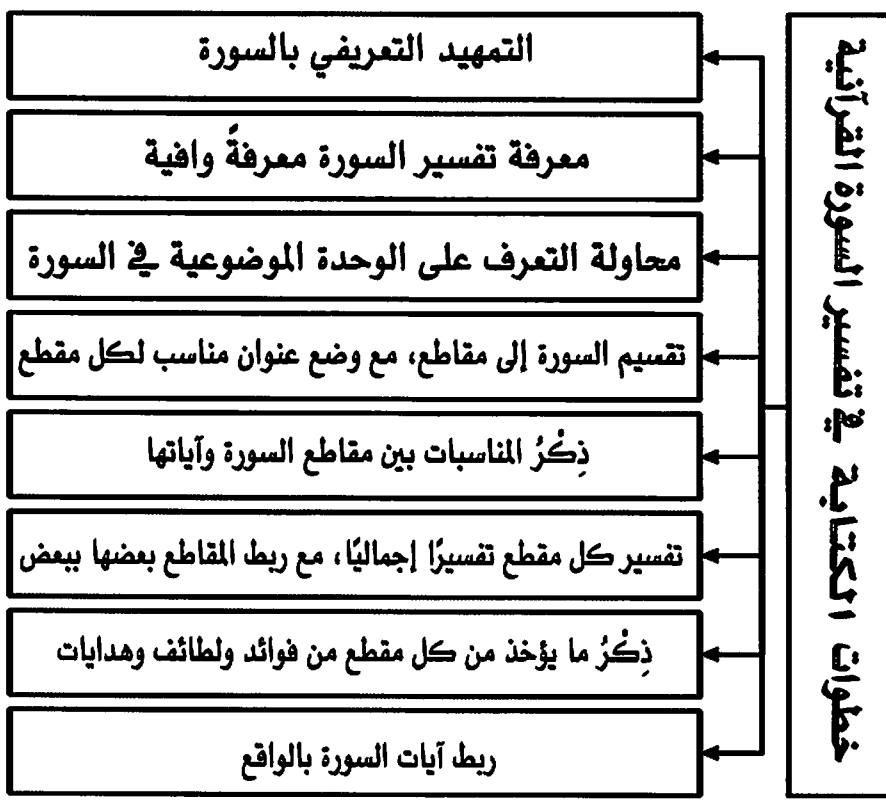

ثالثاً: خطوات الكتابة في المفردة القرآنية[١]:

هناك اختلاف بين الباحثين المعاصرين في منهج دراسة المفردة القرآنية[٢]، في جانب التأصيل، وفي جانب التطبيق، حيث يغلِّبُ بعضُهم النظرَ اللفظي فيكون أقربَ إلى التفسير التحليلي، ويغلِّب آخرون النظرَ الموضوعي، فيكون البحثُ أقربَ إلى تفسير الموضوع القرآني، وهناك من يحاول الجمع بين الأمرين، من غير تَوَسُّع في كلٍ منهما، وهذا أولى[٣].

ويمكن إجمال خطوات الكتابة في المفردة القرآنية فيما يلي[٤]:

١ ـ اختيار المفردة القرآنية المراد دراستها، علماً أنه ليس كُلُّ مفردة تصلح للدراسة هنا، بل لا بد من تكرار ورودها، وتَنَوُّع دلالاتها[٥].

٢ ـ جَمْعُ الآيات القرآنية الواردة في هذه المفردة، بتصريفاتها المتعددة، وذلك من خلال النظر والتدبُّر في آيات القرآن الكريم، والرجوع إلى المعاجم اللفظية للقرآن الكريم، وكتب الوجوه والنظائر.

٣ ـ الرجوع إلى كُتب غريب ومعاني القرآن، وكتب التفسير، وكتب الوجوه والنظائر[٦]، لمعرفة معاني اللفظة أو المفردة في سياقاتها القرآنية المختلفة، وربط المعنى الشرعي بالمعنى اللغوي.

---

(١) سبق في المبحث الرابع أن الصحيح عدمُ اعتبار هذا النوع مجالاً مستقلاً عن مجالات التفسير الموضوعي، وهو رأيُ كثيرٍ من الباحثين، ولكن نظراً لكون بعض المناهج التعليمية أَخَذَتْ بقول مَنْ عدَّه مجالاً مستقلاً، أشار عليَّ بعضُ الزملاء الذين درَّسوا هذا الكتاب (في طبعته الأولى) بإدراجه في هذا الكتاب، فأدرجته ووضعت له مثالاً تطبيقياً انظر ص٢٨.

(٢) أو (المصطلح القرآني) كما يعبِّر بعضهم، وسبق أن إطلاق هذا اللفظ فيه تجوُّز.

(٣) يرى بعضُ الباحثين أن دراسة المصطلح أو المفردة القرآنية تمثِّل خطوةً من خطوات دراسة الموضوع القرآني، وليس مجالاً مستقلاً. انظر التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص٧٢، ومنهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية تأصيل ونقد ص٣٤.

(٤) انظر التفسير الموضوعي في الرسائل الجامعية لأحمد حسن فرحات ص٦، والدكتور أحمد فرحات من أوائل مَنْ كتب في ها المجال تأصيلاً وتطبيقاً، وانظر كذلك: مباحث في التفسير الموضوعي ص٣٥، والتفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص٦٢.

(٥) ينظر التفسير الموضوعي في الرسائل الجامعية ص ٤.

(٦) مع ملاحظة أن أصحاب كتب الوجوه والنظائر قد يذكرون وجوهاً أو معاني مبنيةً على أقوال ضعيفة، أو يشقِّقون القولَ الواحد إلى أقوال عديدة.

٤ ـ دراسة الآيات التي وردتْ فيها المفردة، ومعرفة معناها، وزمن وسبب نزولها، وأقوال المفسرين فيها، وهذه مرحلة تحضيرية متقدمة على الكتابة، والهدف منها معرفة معاني الآيات المدروسة.

٥ ـ وضع خطة بحثية لدراسة المفردة، وذلك بتقسيمها إلى فصول ومباحث مناسبة لما ورد فيها من آيات ودلالات، ومن ذلك: ذكر المعاني اللغوية والشرعية لهذه المفردة، ومجالات أو أنواع ورودها، وأساليب القرآن في عرضها.

٦ ـ صياغة الموضوع وفق الخطة المرسومة، وفيما عدا الحديث عن دلالات المفردة، يكون تفسيرُا لآيات تفسيراً إجمالياً، وذلك بذكر المعنى العام للآيات، مع ربطه بمقاصد السورة.

٧ ـ استنباط ما تحتوي عليه الآيات من فوائد وهدايات، كما يُشار للطائف البلاغية وأسرار التعبير القرآني من غير تَكَلُّف.

المبحث السادس

علم المناسبات وعلاقته بالتفسير الموضوعي

من الأمور المهمة التي ينبغي للباحث في التفسير الموضوعي أن يلمَّ بها ويوظِّفها عِلْمُ المناسبات، ولا سيما في التفسير الموضوعي للسورة؛ فإن معرفة وجوه المناسبة بين الآيات والسور يعين على فهم المعنى العام للآيات، والأغراض والموضوعات التي تتحدث عنها، ووجوه الترابط بينها، كذلك يعين على تحديد مقصدِ السورة، ووجوه ارتباط مقاطعها بعضها ببعض، وفيما يلي لمحةٌ موجزة عن هذا العلم.

تعريف علم المناسبات:

المناسبة في اللغة: المقاربة والملاءمة والمشاكلة بين شيئين[١]

ومناسبات القرآن: وجه الارتباط بين جُمَل القرآن، وآياته، وسوره[٢].

وعرَّفها البقاعي بقوله: «هي علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن»[٣].

أهمية علم المناسبات وفائدته وأهم المؤلفات فيه:

علم المناسبات علم جليل، يعين على فهم القرآن الكريم، وإدراك مقاصده وأسراره، ووجه ارتباط بعضه ببعض، ودفع الشبهات حول ترتيب آياته وصلة بعضها ببعض.

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ص٩١٦، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٦١.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٩٦، وعلم المناسبات بين المجيزين والمانعين، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام عدد ٢٥ ص٩٨.

(٣) نظم الدرر ١/ ٦، ومصاعد النظر ١/ ١٤٢.

قال ابن العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله ﷻ لنا فيه فلمَّا لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[١].

وقال الفخر الرازي: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[٢].

وقال السيوطي: «علم المناسبة علم شريف قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضِها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباطُ ويصير التأليف حَالُهُ حال البناء المحكَم المتلائم الأجزاء»[٣].

وقال البقاعي: «وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو»[٤].

وقال الزرقاني: «إن القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجملة وآياته وسورة، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نَفَسِهِ وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد...»[٥].

نشأة علم المناسبات وأهم المؤلفات فيه:

معرفة وجه ارتباط أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض أمرٌ تدركه العربُ بمقتضى سليقتهم العربية السليمة، فهو معروف عند مفسري السَّلف.

قال البقاعي: «قد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من

---

(١) البرهان ١/٦٢.
(٢) تفسير الرازي ١٠/١١٠.
(٣) الإتقان ٥/١٨٣٦، ١٨٤٠، وانظر: البرهان ١/٦٣.
(٤) نظم الدرر ١/٦.
(٥) مناهل العرفان ٢/٣٣٨.

أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون»[١].

ومن أوائل من اعتنى بعلم المناسبة عنايةً خاصة أبو بكر عبد الله بن محمد النيسابوري الشافعي (ت٣٢٤هـ)، فقد كان يقول على الكرسي في بغداد إذا قُرِئَت عليه الآية: «لِمَ جُعلتْ الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة في جنب هذه السور؟ وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة»[٢].

وممن أفرده بالتأليف:

١ ـ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ)، في كتابه: (البرهان في تناسب سور القرآن).

٢ ـ برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البِقاعي (ت٨٨٥هـ) في كتابه الكبير النفيس: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

٣ ـ السيوطي (ت٩١١هـ) فقد ألف فيه ثلاثة كتب: (تناسق الدرر في تناسب السور)، و(أسرار التنزيل) ويُسمّى (قطف الأزهار في كشف الأسرار)، و(مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع).

٤ ـ عبد الله بن الصدِّيق الغُماري (ت١٤١٣هـ) في كتابه: (جواهر البيان في تناسب سور القرآن).

وجميعها مطبوعة، كما كتب فيها عدد من المعاصرين.

وقد اهتم به عدد من المفسرين ومنهم: الرازي، وابن العربي، وأبو السعود، وأبو حيان وغيرهم.

ومن المعاصرين: محمد عبده، ويظهر ذلك في تفسير المنار، والفَرَاهي، والألوسي، والمراغي، وابن عاشور، والزُّحيلي، وغيرهم.

---

(١) مصاعد النظر ١/١٥٣.

(٢) البرهان ١/٦٣.

كذلك تعرَّض لها تأصيلاً أصحابُ كتب علوم القرآن، ومنهم: الزركشي في (البرهان)، والسيوطي في (الإتقان)، وابن عَقِيلة المكي في (الزيادة والإحسان في علوم القرآن)، وغيرهم.

أقوال العلماء في علم المناسبات:

للعلماء في علم مناسبات القرآن الكريم قولان:

القول الأول: ذهب كثير من أهل العلم إلى القول بوجود المناسبات في القرآن، ولا سيما بين الآيات، وتقدم ذكر طائفة من أقوال العلماء في ذلك، واستدلوا بما يلي:

١ ـ أنها دليل على بلاغة القرآن وإعجازه، وجمال نظمه، وترابط أجزائه[١].

٢ ـ أنها تعين على فهم القرآن، واستنباط لطائفه[٢].

٣ ـ أن ذلك من أسرار ترتيب آيات القرآن وسوره، مع اختلاف مكان وزمان نزولها[٣].

القول الثاني: عدم القول بوجود المناسبات بين الآيات والسور، وقال به جماعة من أهل العلم، واستدلوا على ذلك بما يلي:

١ ـ أن تطلُّبَ ذلك تَكَلُّف وتَعَسُّفٌ يُصَانُ عنه القرآن.

٢ ـ أن القرآن نزل مفرَّقاً حسب الوقائع والأحداث في موضوعات مختلفة، فكيف يطلب له مناسبة.

٣ ـ أن الكلام فيه إنما يكوم بمحض الرأي المنهي عنه، وقد يفتح أبوابَ الشك لمن كان في قلبه مرض.

يقول العز بن عبد السلام: «المناسبة علمٌ حسن، لكن يشترط في حسن

---

(١) انظر: أقوال العلماء في أهميته وثمرته أول هذا المبحث.

(٢) انظر: تفسير الرازي ١٠/ ١١٠.

(٣) علم المناسبات بين المجيزين والمانعين ص١١٨.

ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يُصان عن مثله حَسَن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيِّف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض»[(١)].

ويقول الشوكاني في تفسيره: «اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤا بعلم مُتَكَلَّف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب ـ سبحانه ـ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف. . .»[(٢)].

وقد أجاب عن ذلك وليُّ الدين المَلَوي الشافعي بقوله: «قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفرَّقة.

وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبةً سوره كلها وآياته بالتوقيف»[(٣)].

وقال ابن عَقِيلَةَ المكي معلقاً على قول العز بن عبد السلام: «ليس الأمر كذلك، بل مناسبة الآيات بعضها لبعض من أول المصحف إلى آخره حاصلة تامة على أحسن وجه وأكمل منوال، ولكن الناس تختلف أفهامهم في وجه المناسبة، فبعضهم يظهرُ له معنى بعيدٌ ضعيف، وبعضهم يظهر له معنى حسنٌ قوي، فالمناسبة بين الآيات حاصلة، وحسن ذلك وضعفه راجع إلى حسن

---

(١) البرهان ١/ ٦٣، والإتقان ٥/ ١٨٣٨.
(٢) فتح القدير ١/ ١٧١.
(٣) البرهان ١/ ٦٣، والإتقان ٥/ ١٨٣٨.

الأفهام، والله أعلم»[١].

وقال محمد عبد الله دراز: «إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع؛ كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضًا فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة»[٢].

والأظهر ـ والله أعلم ـ القول الأول، ولا سيما في مناسبات الآيات، لكن بشرط عدم التَّكلف والتعسُّف في إثبات وجوه المناسبة، ولعلَّ هذا مرادُ القائلين بالمنع، حيث لم تخلُ تفاسيرهم من ذكرٍ للمناسبات، ومنهم الشوكاني فقد أورد في تفسيره عدداً كبيراً من المناسبات.

هذا والقول بالمناسبات مبنيٌّ على القول بأن ترتيب الآيات والسور توقيفي، وترتيبُ الآيات توقيفي بالإجماع، وأما ترتيب السور فهو محل خلاف مشهور، فبعض العلماء يقول: إنه توقيفي، وبعضهم يقول: اجتهادي، وبعضهم يقول: منه ما هو توقيفي ومنه ما هو اجتهادي، والأظهر أنه توقيفي، والله أعلم[٣].

وعناية المفسرين بالمناسبات بين الآيات أكثر؛ لوضوح ارتباط الآي بعضها ببعض، بخلاف مناسبات السور.

طريق معرفة المناسبات بين الآيات:

معرفة وجه ارتباط الآي بعضها ببعض يحتاج إلى تأمل دقيق في معاني الآيات، ويستعان على معرفة ذلك: بالنظر في السياق، وسبب النزول، ومكانه.

يقول البقاعي: «رُبَّ آية أقمتُ في تأملها شهوراً»[٤].

---

(١) الزيادة والإحسان ٥/ ٢٩٩.
(٢) النبأ العظيم ص١٩٤.
(٣) انظر: البرهان ١/ ٣٢٣، والإتقان ٢/ ٣٩٤، ومناهل العرفان ١/ ٣٤٦ وما بعدها.
(٤) نظم الدرر ١/ ١٥.

ويقول السيوطي: «قال بعضُ المتأخرين: الأمر الكلي المفيد لِعِرْفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفْسِ السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغةُ شفاءَ العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك ـ إن شاء الله ـ وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة»[1].

أنواع المناسبات:

المناسبات في القرآن الكريم، أنواع، منها ما يكون بين السُّور، ومنها ما يكون في السورة الواحدة، وهي متفاوتة من حيث الظهور والخَفاء.

أولاً: المناسبات في السورة الواحدة

المناسبات الواقعة في السورة الواحدة أنواع أربعة:

١ ـ المناسبة بين الآيات بعضها لبعض:

وهذا النوع من أوضح أنواع المناسبة وأكثرها وجوداً في كتب التفسير، **ومن أمثلته ما يلي:**

ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧]، لمّا بيَّن ﷻ في هذه الآية محاسبة العبد على الحسنات ناسب أن يذكر محاسبته على السيئات فقال بعدها: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٨].

ـ في افتتاح سورة البقرة لما ذكر اللهُ المؤمنين الصادقين ثنَّى بالمجاهرين بالكفر الذين وافقتْ سريرتُهم علانيَتهم وهم الكافرون، ثم أتْبع ذلك ذكرَ الذين

(١) الإتقان ٥/١٨٤٦.

خالفت ألسنتُهم قلوبهم وهم المنافقون[١].

ـ قوله ﷻ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء: ٧، ٨].

لما ذكر ﷻ في الآية الأولى أن النساء يشتركن مع الرجال في الميراث، وعلمَ ﷻ أن في الأقارب مَنْ لا يرث، وأن الذين لا يرثون إذا حضروا وقت القسمة يَثقل ألا يعطوا شيئاً، أمر الله ﷻ أن يُدفع إليهم شيءٌ عند القسمة، حتى يحصل الأدب الجميل وحسن العشرة[٢].

٢ ـ المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤] لمَّا ذكر ﷻ الضَّحكَ ذكر ضده، ولمَّا ذكر الإماتة ذكر ضدها، فذكرُ هذه الأضداد فيها دلالة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته[٣].

ـ ولما أخبر النبي ﷺ قومه بأنه منهي عن عبادة ما يدعونه من دون الله، بيّن لهم أنه لو اتبع أهواءهم ووافقهم في ذلك صار ضالاً مثلهم، وهذا على سبيل الفرض، فإنه ﷺ معصوم من ذلك، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۖ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦].

٣ ـ المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

ومن أنواع المناسبات في السورة الواحدة: المناسبة بين افتتاحية السورة

---

(١) انظر: نظم الدرر ١/ ٩٩، وقد روي عن مجاهد أنه قال: «أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين» أخرجه ابن جرير ١/ ٢٤٥.

(٢) تفسير الرازي ٩/ ١٥٩.

(٣) انظر: نظم الدرر ١٩/ ٧٤.

وخاتمتها، وقد كتب فيه السيوطي كتابه السابق ذكْره: (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، **ومن أمثلة ذلك ما يلي:**

ـ افتتحت سورة (المؤمنون) بذكر فلاح المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١]، واختتمت بنفي فلاح الكافرين ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧][(١)].

ـ افتتحت سورة صٓ بقوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: ١]، واختتمت بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [ص: ٨٧]؛ فالذُكر مذكورٌ في البدء والختام[(٢)]..

ـ وافتتحت سورة الحشر بالتَّسبيح: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحشر: ١]، وختمت به: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

قال البقاعي: «وقد انعطف على افتتاحها ختامُها وعانق ابتداؤها تمامَها، ووفَّى مطلعها مقطعها، وزاد وبلغ الغاية من الإرشاد إلى سبيل الرشاد، فسبحان من أنزله برحمته رحمة للعباد، وهادياً إلى الصواب والسداد»[(٣)].

٤ ـ المناسبة بين اسم السورة ومضمونها:

وهناك نوع رابع من أنواع المناسبات في السورة الواحدة، وهو المناسبة بين اسم السورة ومضمونها.

يقول البقاعي: «وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل

---

(١) انظر: الكشاف ٣/ ٤٥، ومراصد المطالع ص٥٦.
(٢) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٢/ ١٠٠٧، ومراصد المطالع ص٦٢.
(٣) انظر: نظم الدرر ١٩/ ٤٨٢، وانظر: ١٥/ ١٣٩، ١٩/ ١٩٤.

سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تُظْهِرُ المناسبةُ بينه وبين مسماه عنوانَه الدالَّ إجمالاً على تفصيل ما فيه...»[١].

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها؛ فإن السورة قد ذكرت أنواعَ الفتن التي تمرُّ بالمرء،، فذكرتْ فيها الفتنة في الدين في قصة الفتية أصحاب الكهف، وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، ثم بيّنت المخرجَ من كل واحدة من هذه الفتن؛ فكأنها كَهْفٌ لمن اعتصم بها من الفتن[٢]، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»[٣].

والمتأمل في كثير من سور القرآن لا يجد مناسبةً ظاهرةً بين اسم السورة ومضمونها، انظر مثلاً سور: ص، ق، ن، فهل في ذلك مناسبة خفية، أو يقال: إن هذه المناسبة موجودة في بعض السور دون بعض؟ الله أعلم.

ثانياً: المناسبات بين السور:

المناسبات بين السور لها أنواع أهمها ما يلي:

الأول: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها:

من أنواع المناسبات بين السور: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، وهذا ظاهر في بعض السور، وفي بعضها لا يظهر إلا بتكلُّف، ولذلك نجد بعضَ المشتغلين في إيجاد هذا الرابط يتجاوزون مقدمة السورة وفاتحتها حتى يكادون يصلون وسط السورة فيعدونه من فاتحتها أو خاتمتها كما في (مراصد المطالع).

---

(١) نظم الدرر ١/١٨.
(٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص١٨٥.
(٣) أخرجه مسلم ١/٥٥٥ (ح٨٠٩).

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى في آخر سورة الإسراء: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١]، وفي أول سورة الكهف التي تليها قال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١]. فخُتمتْ الأولى بالحمد وافتتحتْ به الثانية.

مثال آخر: في آخر سورة الطور قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور: ٤٩]، وفي أول سورة النجم قال ﷻ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ [النجم: ١]. حيث ذُكر النَّجم في آخر الأولى وفاتحة الثانية.

وكذلك: سورة الواقعة خُتمت بالتسبيح: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤]، وافتتحتْ به سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد: ١].

الثاني: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

من أنواع المناسبات بين السور: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها، وقد اهتمَّ ببيان هذا الوجه ابنُ الزبير الغرناطي في البرهان في تناسب سور القرآن، والبقاعي في نظم الدرر، والسيوطي في تناسق الدرر في تناسب السور، **ومن أمثلته ما يلي:**

ـ المناسبة بين سورتي المؤمنون والنور، لما ذكر ﷻ في سورة المؤمنون حفظ المؤمنين لفروجهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾ [المؤمنون: ٥] ذكر في سورة النور أحكام مَن لم يحفظ فَرجَه، من الزناة والزواني، وما يتصل بذلك من القذف والإفك، والأمر بغض البصر، والنكاح حفظاً للفروج[١].

ـ المناسبة بين سورتي الضحى والشَّرح ففيهما تعدادٌ للنِّعم التي أنعم الله ﷻ بها على رسوله الله ﷺ؛ ففي الضحى ذكر النِّعم الحسية، وفي الشرح النعم المعنوية[٢].

---

(١) تناسق الدرر ص١٠٤.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن ص٢١١.

وختاماً، ينبغي أن يُعلم أن القول في المناسبات أمرٌ اجتهادي، تختلف فيه الأنظار، وقد يظهر للإنسان ما لا يظهر لغيره، فلا ينبغي التكلُّف في إثباتها، والجَزم بصحتها، كما لا ينبغي القطع بنفيها، ولا سيما بين الآيات، والله أعلم.

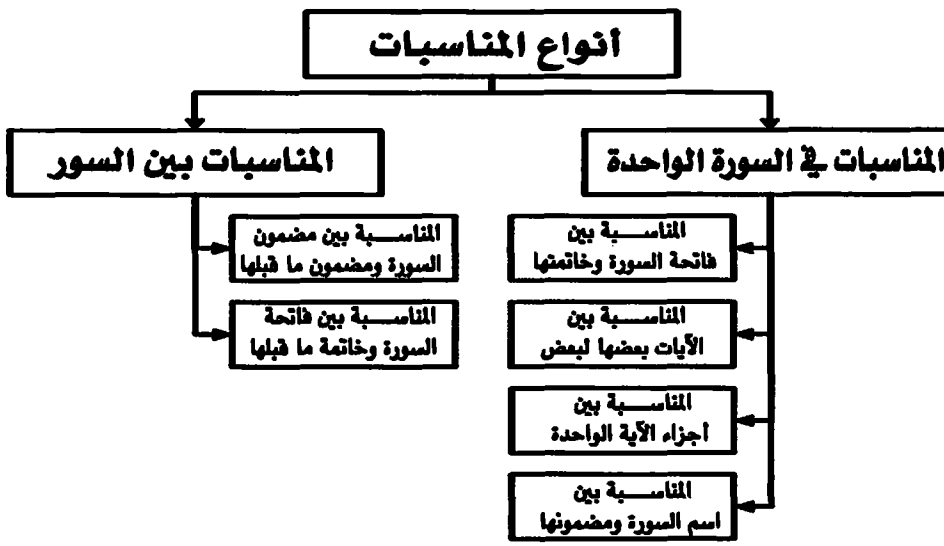

المبحث السابع

الوَحْدَةُ الموضوعية في القرآن الكريم

من المسائل المهمَّة في التفسير الموضوعي ما يسمَّى الوَحْدةَ الموضوعية في القرآن الكريم، ولا سيما في مجال دراسة السورة، وقد تقدم في المبحث الرابع أن بعض الباحثين لم يدخل دراسة السورة في التفسير الموضوعي لأنه لا يرى القول بها.

والوحدةُ الموضوعية في القرآن الكريم تشمل نوعين:

النوع الأول: وَحْدَة الموضوعِ القرآني:

والمراد بوحدة الموضوع القرآني: أن الآيات الواردة في موضوع واحد في القرآن الكريم بينها تناسب وارتباط، ويتألف منها موضوع مُحْكَم، مع أنها نزلت في أزمنة متفرقة، لأسباب مختلفة، وهذا أمر ظاهر، لا خلاف فيه، فإن القرآن يفسِّر بعضه بعضاً.

قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

فقوله ﷻ: ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾؛ أي: يشبهُ بعضه بعضاً في البلاغة والحسن والإحكام، وقوله ﷻ: ﴿مَّثَانِىَ﴾؛ أي: تثنَّى قصصه وأخباره وأحكامه[1].

وهذا النوع في الجملة لا إشكال فيه، ولذلك كان مجال الموضوع القرآني من المجالات المُتفق عليها بين الباحثين، كما سلف في المبحث الرابع.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٢٠/ ١٩١.

النوع الثاني: الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية:

المراد بالوحدة الموضوعية في السورة: أن لكل سورة قرآنية مَقْصِداً وهدفاً محدداً تعود إليه جميعُ موضوعاتها.

ويطلق عليه: مَغْزَى السورة، وعَمُوْدُهَا، وهدفها، ومُحْوَرُها، ومقصدها، ومضمونها، ورُوحُها، وجَوُّها، وفَلَكُها، وشخصيَّتها، وموضوعها العام[1].

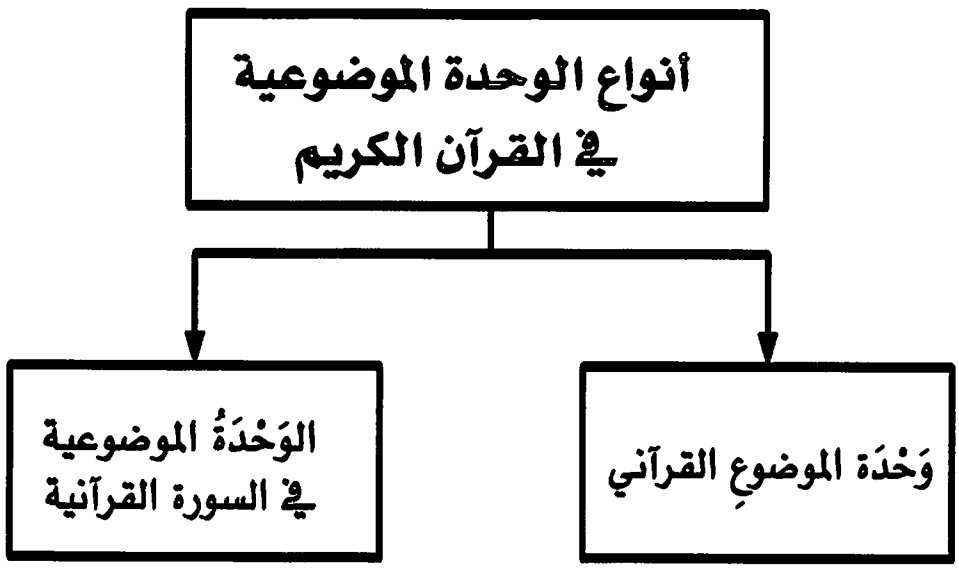

الفرق بين موضوعات السورة ومقصود السورة:

موضوعات السورة: ما تشتمل عليه آياتها من قضايا وأحكام وقصص ومواعظ.

أما مقصود السورة فهو ـ كما تقدم ـ الغاية أو الخيط الذي ينتظم هذه المعاني المتنوعة، بحيث تعود كلُّها إليه.

وثمَّة خَلْطٌ واشتباه وقع فيه بعض مَن تحدَّثوا عن الوحدة الموضوعية في السورة، وهو عدم التَّفريق بين وحدة النَّظْم والاتساق والترابط بين كلماتها

(١) انظر: علم مقاصد السور ص٩.

وآياتها ـ وهو ما يعبِّر عنه بعض المعاصرين: بالوحدة العضوية أو الفنِّية ـ وبين وَحْدَةِ الهدف والمقصد[١].

أهمية العناية ببيان الوحدة الموضوعية وجهود العلماء في ذلك:

معرفة مقصد السورة له أهمية كبيرة في دراستها دراسةً موضوعية، حيث يعين على فهم معانيها، وكشف أسرارها، ومعرفة وجوه ترابط أجزائها.

وقد وردت بعضُ الآثار عن السلف تدل على عنايتهم بمقاصد السور[٢]، ومن ذلك ما ورد عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: «التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، (ومنهم ومنهم)، حتى ظنوا أنها لن تُبْقِيَ أحداً منهم إلا ذكر فيها»[٣]، كما ورد عن قتادة أن سورة النَّحل تسمى سورةَ النِّعم، لكثرة تعداد نعم الله فيها على عباده[٤].

كما ذكر كثيرٌ من المفسرين وغيرهم من أهل العلم بعضَ مقاصدِ السور، على تفاوتٍ بينهم في ذلك، ومنهم: الزمخشري، والرازي في (تفسيريهما)، وابن الزُّبير الغرناطي في (البرهان في تناسب سور القرآن)، والشاطبي في (الموافقات)، وابن القيم في بعض كتبه[٥]، والبقاعي في مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، و(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وغيرهم.

ومن المتأخرين: ابن عاشور، والمراغي، والزحيلي، في تفاسيرهم، والفراهي في دلائل النظام ونظام القرآن، وغيرهم، علماً أن بعض هؤلاء المذكورين يعبِّر بالمقاصد عن موضوعات السورة.

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص١٢٥ وما بعدها، ومنهج التفسير الموضوعي دراسة نقدية ص٢٠٤.
(٢) علم مقاصد السور ص٢١.
(٣) أخرجه البخاري ٦/ ١٤٦ (ح٤٨٨٢).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٩٥، والسمعاني٣/ ١٦٣، وابن كثير ٤/ ٥٩١.
(٥) انظر مثلاً: بدائع الفوائد ١/ ١١٤، وشفاء العليل ص٢٤٧.

ومن الجهود المعاصرة في إبراز مقاصد السور: «موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم» حيث التزمت بذكر مقصد كل سورة من سور القرآن الكريم.

يقول البقاعي في بيان مقصد السور وفائدته: «كلَّ سورة لها مقصد واحدٌ يدار عليه أولها وآخرها، ويستدلّ عليها فيها، فترتب المقدمات الدَّالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهجٍ وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل استدلّ عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلمَّ جرًا، فإذا وصل الأمر إلى غايته خُتم بما منه كان ابتداء، ثُمَّ انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهج بديع ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النَّضيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيقة الحالِية المُزَيَّنَة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرّ وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلّ دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشُعبة مُلتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولهَا كما لاحم انتهاؤُها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلُّ سورة كدائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغرّ، البديعةِ النظم، العجيبة الضَمِّ، بلِين تعاطفِ أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها»[1].

ويقول محمد عبد الله دراز: «إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد، يتعلق آخرُهُ بأولِه، وأولُه بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجُمَلُ بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية»[2].

ومن أهل العلم من أنكر وجود الوحدة الموضوعية في السورة؛ نظراً لتنوع أغراض السور، ووجود الاختلاف في تعيين المقصد، وتعسُّفِ بعض المفسرين في تحديده[3].

---

(١) مصاعد النظر ١/١٤٩.
(٢) النبأ العظيم ص١٩٩.
(٣) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي لعبد الستار سعيد ص٢٥، والتفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص٢٤٤.

والأظهر ـ والله أعلم ـ أن السور الطويلة لها أكثر من مقصد، وأما السور القصيرة فقد يكون لها غرض واحد، لكن يبقى تحديده محلَّ اجتهاد، فلا يقطع به، ولا يبالغ في إثباته، ولذلك نجد أن هناك اختلافاً كبيراً في تحديد بعض مقاصد السور[١]، وقد يذكر بعضُهم للسورة مقصداً واسعاً يمكن أن ينطبق على كثير من سور القرآن الكريم، مثل: تقرير عقيدة التوحيد، أو إثبات البعث، أو العناية الإلٰهية بالإنسان، أو الرد على المكذبين للوحي، ونحو ذلك.

والوقوف على مقصد السورة وغرضها الذي تعود إليه موضوعاتها أمرٌ دقيق يحتاج إلى طول تفكُّر ونظر ومعرفةٍ تامة بمعانيها، وأحوال نزولها، وأقوال المفسرين فيها، وإدراكٍ لمناسباتها ووجوه ارتباط مقاطعها[٢].

يقول الفراهي: «اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليدٌ[٣] لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمودُ كفَلَق الصبح، فتضيء به السورةُ كلُّها، ويتبين نظامُها، وتأخذ كلُّ آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحُها»[٤].

وقد تقدم في المبحث الرابع أن عدم القول بوجود الوحدة الموضوعية في السورة لا يلزم منه إخراجُ التفسير الموضوعي للسورة عن مجالات التفسير الموضوعي، كما ذهب إلى ذلك بعضُ الباحثين، بل يكون النظرُ فيها متعلقاً بموضوعاتها المتعدِّدة سواء استطعنا أن نحدد لها محوراً عاماً واحداً ينتظمها أم لا.

ومن أمثلة مقاصد السور التي ذكرها العلماء:

مقصود سورة الفاتحة: مراقبة العباد لربهم[٥]، وسورة النور: أحكام

---

(١) ذكر د. زياد الدغامين تسعة أقوال في تحديد مقصد سورة الحِجْر، ثم اختار قولاً عاشراً. انظر: التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص٢٧٧ ـ ٢٩٠.

(٢) انظر: علم مقاصد السور ص٤٧.

(٣) أي: مفتاح.

(٤) دلائل النظام ص٧٧.

(٥) مصاعد النظر ١/ ٢٠٩.

العفاف والستر[١]، وسورة الكافرون: البراءة من معبودات المشركين[٢]، وسورة المرسلات في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم عليه[٣]، وسورة الحج: حكمة الحج وجلالة محله في الدين[٤].

(١) تفسير القرطبي ١٢/١٠٦.
(٢) بدائع الفوائد ١/١١٤.
(٣) تفسير الرازي ٣٠/٢٤٩.
(٤) نظام القرآن ١/٤١٧.

أسئلة وتدريبات على القسم الأول

أولاً: الأسئلة النظرية:

س١ عرِّف التفسير الموضوعي لغة واصطلاحاً، مبيناً وجه تسميته موضوعيّاً.

س٢ اذكر الجهود السابقة لنشأة التفسير الموضوعي.

س٣ اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

يمكن أن يدخل التفسير الموضوعي في عموم:

أ ـ تفسير القرآن باللغة العربية.

ب ـ تفسير القرآن بالقرآن.

ج ـ تفسير ابن عباس.

د ـ التفسير التحليلي.

س٤ اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

أولُ مَنْ كَتَبَ في التفسير الموضوعي وِفْقَ منهجية واضحة هو:

أ ـ محمد عبده.

ب ـ عبد الحميد بن باديس.

ج ـ محمد محمود حجازي.

د ـ ابن القيم.

س٥ اذكر ثلاثة من الكتب المؤلفة في تأصيل التفسير الموضوعي.

س٦ قارن بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي.

س٧ اذكر ثلاثاً من فوائد التفسير الموضوعي.

س٨ ناقش المقولة التالية: (التفسير الموضوعي هو الذي يجب أن يسود هذا العصر، وهو الأنسب للتدريس والأولى بالاتباع، وهو تفسير المستقبل).

س١٠ مثّل لثلاث موضوعات قرآنية، وثلاث سور قرآنية دُرستْ دراسةً موضوعية.

س١١ بيّن مجالات البحث في التفسير الموضوعي، وهل جميعها محل اتفاق بين الباحثين.

س١٢ اذكر خطوات البحث والكتابة في الموضوع القرآني إجمالاً.

س١٣ أذكر خطوات البحث والكتابة في المفردة القرآنية إجمالاً.

س١٤ اذكر خطوات البحث والكتابة في السورة القرآنية إجمالاً.

س١٥ ما رأيك في العبارة التالية: ينبغي للباحث في التفسير الموضوعي أن يتوسَّع في ربط الآيات بالواقع.

س١٦ وضِّح علاقة علم المناسبات بالتفسير الموضوعي، ثم مثِّل للمناسبات بين الآيات والمناسبات بين السور.

س١٧ ما المراد بالوحدة الموضوعية، وما أقوال العلماء في الوحدة الموضوعية في السورة، وماذا ترجِّح.

ثانياً: التدريبات العملية:

س١ اختر أحد الكتب المؤلفة في تأصيل التفسير الموضوعي، ثم عرِّف به مبيناً: اسمه، اسمه مؤلفه، اسم ناشره ومكانه، رقم الطبعة وتاريخها، محتوى الكتاب إجمالاً.

س٢ اختر أحد الكتب المؤلفة في الموضوعات القرآنية أو السور المدروسة دراسةً موضوعيّاً، ثم عرِّف بها مبيناً: اسم الكتاب، اسم مؤلفه، اسم ناشره ومكانه، رقم الطبعة وتاريخها، محتوى الكتاب إجمالاً، مَدَى التزامه بمنهج التفسير الموضوعي.

س٣ اختر أحد الموضوعات التالية: الصدقة، نوح، الرحمة، الإحسان، ثم اجمع الألفاظ القرآنية الواردة فيها، من خلال أحد معاجم الألفاظ مبيناً عددَ الألفاظ، وصيغها، وعدد السور والآيات الواردة فيها.

س٤ اختر أحد الموضوعات التالية: الحج، بر الوالدين، قصة مريم، رعاية اليتيم، العَفو، ثم اجمع الآيات الواردة فيها من خلال أحد معاجم الموضوعات مبيناً الألفاظ الواردة فيه، وعدد السور والآيات المذكور فيها.

س٥ بيِّن المناسبات التالية في سورة الأحزاب: المناسبة بين أول السور وخاتمة ما قبلها، المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وجه الصلة بين ثلاث آيات منها.

س٦ حاول أن تكتشف مقاصد السور التالية: السجدة، الحجرات، القارعة.

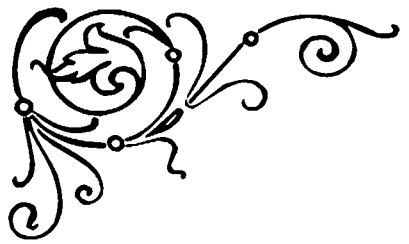

القسم الثاني

نماذج تطبيقية في التفسير الموضوعي

الأنموذج الأول: مثال تطبيقي لتفسير موضوع قرآني تفسيراً موضوعياً.
الشِّرك أسبابه ومظاهره وآثاره في ضوء القرآن الكريم.

الأنموذج الثاني: مثال تطبيقي لتفسير سورة قرآنية تفسيراً موضوعياً.
سورة المجادلة دراسة موضوعية.

الأنموذج الثالث: مثال تطبيقي لتفسير مفردة قرآنية تفسيراً موضوعياً.
مفردة (الفِتْنَةُ) في القرآن الكريم معانيها ودلالاتها.

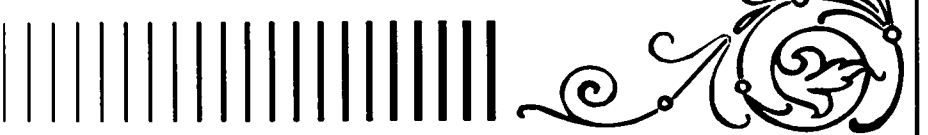

الأنموذج الأول

الشِّرك: أسبابه ومظاهره وآثاره في ضوء القرآن الكريم

مقدِّمة

المتأمل في آيات الكتاب الحكيم يجد الاهتمام البالغ والعناية الكبيرة بأمر الشرك؛ حيث ساق الأدلة الكثيرة والبراهين المتنوعة لبيان بطلانه، وسلك المناهج المتعددة في مخاطبة أهله ومجادلتهم، كما بيَّن أسباب وقوع الناس فيه، وذَكَرَ مظاهرَه، وآثارَه، وما ذاك إلا لشناعته وبشاعته، وخطره العظيم على الأفراد والجماعات، ولا غروَ في ذلك فما أرسلت الرسل، ولا أنزلت الكتب، ولا أُقيم الجهاد إلا لتوحيد الله ـ تعالى ـ بالعبادة واجتناب الشرك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ونظراً لسَعَةِ الموضوع وطوله وكثرة مباحثه اقتصرت على بعض جوانبه[1]، وجعلت ذلك في تمهيد وثلاثة فصول، ذكرت في التمهيد تعريف الشرك ومراتبه وحديث القرآن عنه، وفي **الفصل الأول** تحدثت عن أسبابه، وفي **الفصل الثاني** ذكرت مظاهره، وفي **الفصل الثالث** آثاره، في ضوء ما ورد في ذلك من آيات كريمة، وسمَّيته: «الشِّرك أسبابه ومظاهره وآثاره في ضوء القرآن الكريم».

(١) وهو مُستلٌّ من بعض أبواب رسالتي للماجستير «منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك» ـ وهي مطبوعة ـ مع الاختصار والتهذيب.

تمهيد
تعريفُ الشِّرك ومراتبُهُ وحديث القرآن عنه

تعريف الشِّرْكُ في اللغة:

الشِّرْكُ في اللغة: «هو الاشتراك مطلقاً، وعدم الانفراد»[١].

والشريك: المشارك، والشِّرْك كالشريك، والجمع: أشراك وشركاء، كما يقال: شريف وأشراف وشرفاء[٢].

ومما سبق يتبين أن الشرك في اللغة يطلق على الاشتراك مطلقاً، وعدم الانفراد.

تعريف الشرك في الشرع:

الشِّرْكُ في الشرع: أن يجعل الإنسان لله شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته[٣].

وهو ضدُّ التوحيد، وإذا أطلق في الكتاب والسُّنَّة وكلام السلف فإنه ينصرف إلى الشرك في الألوهية، وهو مقصودي في هذا البحث، حيث إنه أول ما نهت عنه الرسل، وهو أكثر شرك الأمم، مع العلم أن الشرك في الألوهية مستلزم للشرك في الربوبية والأسماء والصفات، فإن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة[٤].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٢٦٥.

(٢) انظر: لسان العرب ٤/ ٢٢٤٨، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٦.

(٣) انظر: الاستقامة لابن تيمية ١/ ٣٤٤، ومعارج القبول ١/ ٢٦٨، وتفسير السعدي ٢/ ٤٩٩.

(٤) انظر: معارج القبول ١/ ١٧٩، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص١٢.

الفرق بين الكفر والشرك:

الكفر أعمُّ وأشمل من الشرك، فكل شرك كفر وليس كل كفر شركاً، حيث إن الشرك يتضمن وجود مشارك لله ـ تعالى ـ في أحد حقوقه، بخلاف الكفر فإنه عدم الإيمان مطلقاً سواء كان بالشرك، أم بجحد النبوة، أو بتكذيب الله ـ تعالى ـ أو رسوله ﷺ، أو غير ذلك من نواقض الإيمان، فالشرك نوع من أنواع الكفر[١].

مراتب الشرك:

الشرك في الألوهية ليس مرتبة واحدة، بل هو مراتب بعضها أغلظ من بعض، وقد اختلف العلماء في تقسيمه، فبعضهم جعله ثلاث مراتب: أكبر وأصغر، وخفي، وبعضهم جعله مرتبتين: أكبر، وأصغر[٢]، والأرجح ـ والله تعالى أعلم ـ أن الشرك الخفي ـ الرياء ـ داخل تحت الشرك الأصغر، ثم إن الشرك الأصغر عموماً قد يرتقي إلى درجة الشرك الأكبر بنِيَّة صاحبه ومقصده[٣].

تعريف الشرك الأكبر:

اختلفت تعريفات العلماء للشرك الأكبر وإن اتفقت في مدلولاتها ومعانيها، ومن أجمع هذه التعريفات ما يلي:

ـ «هو أن يتخذ من دون الله نِدّاً يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين»[٤].

ـ «أن يسوِّي غيرَ الله بالله فيما هو من خصائص الله»[٥].

---

(١) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص٤٩٣، والشرك الأصغر حقيقته وأحكامه ص١٧.
(٢) انظر: شرح نواقض الإسلام ص٢٣.
(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٧٣.
(٤) وهو تعريف ابن القيم، مدارج السالكين ١/ ٣٦٨.
(٥) وهو تعريف عبد الرحمٰن بن قاسم، حاشية كتاب التوحيد ص٥٠.

تعريف الشرك الأصغر:

اختلفت تعريفات العلماء للشرك الأصغر، ومن أجمع تعريفاته تعريف الشيخ عبد الرحمٰن السعدي حيث يقول: «حدُّ الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة»[(١)].

الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر:

سبق بيانُ الفرق بينهما من حيث الحد، وهنا أذكر الفروق بينهما من حيث الأحكام المترتبة عليهما في الدنيا والآخرة، وهي كما يلي:

١ ـ الشرك الأكبر مخرج عن الإسلام، بخلاف الأصغر فإنه لا يخرج صاحبه عن الملَّة، وعلى هذا فإن المشرك شركاً أكبر تجري عليه أحكام الكفار في الدنيا.

٢ ـ الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، بخلاف الأصغر فإنه لا يبطل إلا العمل الذي قارنهُ.

٣ ـ الشرك الأكبر موجب للخلود في النار، ومانع من دخول الجنة، بخلاف الأصغر فإنه لا يوجب الخلود في النار.

٤ ـ الشرك الأكبر لا يغفر إلا بالتوبة منه، بخلاف الأصغر فإنه واقع تحت المشيئة الإلٰهية، إن شاء الله غفر لصاحبه، وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة[(٢)].

حديث القرآن عن الشرك:

المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد العِناية الكبيرة بموضوع الشرك،

---

(١) القول السديد ص٤٨، وانظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٥٠.

(٢) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر ص٣٥، الشرك الأصغر حقيقته وأحكامه ص٣٨، القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ١١١، وهذه المسألة محل خلاف بين العلماء. انظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٥١.

حيث لا تكاد تخلو سورة من سوره المكية أو المدنية من الحديث عن الشرك والمشركين، بل إن القرآن كلَّه تقرير للتوحيد، ونهي عن ضده وهو الشرك.

ومما يدل على ذلك أن مادة (شَرَكَ) وردت في القرآن قرابة ثمانين ومائة مرة، مع العلم أن الحديث عن الشرك وأهله في القرآن ليس مقتصراً على هذه اللفظة وما تصرَّف منها، بل ورد ذكره بألفاظ أخرى كالأنداد والشُّفعاء والآلهة والأولياء، أو عبادة غير الله.

وقد اشتملت هذه الآياتُ الكثيرة جدّاً على بيان بطلانه وضلال أهله، كما تحدَّثتْ عن أسبابه، ومظاهره، وآثاره في الدنيا والآخرة، وتضمنتْ كذلك محاجَّةَ أهله بطرق متنوعة وأساليب مختلفة.

الفصل الأول

أسباب الشرك في ضوء القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإعجاب والتعظيم والغلو في المخلوقين.

المبحث الثاني: التقليد.

المبحث الثالث: اتباع الهوى.

المبحث الرابع: الكبر.

المبحث الخامس: إهمال العقل وعدم التفكر في آيات الله تعالى.

مدخل

الأصل في بني آدم التوحيد، وقد ظلوا على عقيدة التوحيد قروناً عديدة، ثم اختلفوا، ووقع فيهم الشرك، فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم الأنبياء داعين إلى التوحيد، ناهين عن الشرك، مبشرين من أطاع الله ﷻ ووحَّده بالسعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة، منذرين من عصاه وخالف أمره بالشقاوة في الدنيا، والنار يوم القيامة، وأنزل الله ﷻ معهم الكتب الإلٰهية المشتملة على البراهين الواضحة، والشرائع المحكمة والآداب الفاضلة ليحكموا بها بين الناس فيما يختلفون فيه ويتنازعون، كما قال الله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

«قال ابن عباس ﷺ: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي قراءة عبد الله[1]: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فاخْتَلَفُوا﴾»[2].

ومما يدل أيضاً على أن الناس كانوا أمة واحدة على التوحيد والإيمان قولُ الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩].

وقد دلَّت السُّنَّة على ذلك، كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ

---

(١) أي: عبد الله بن مسعود ﷺ، وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١٤٤.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٢/ ٣٤٧، وعن قتادة قال: «كانوا على الهدى جميعاً فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أول من بعث نوح». تفسير ابن جرير ٢/ ٣٤٧.

قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه...»[١].

وإذا تقرر أن الأصل في البشرية التوحيد، وأن الشرك طارئ عليهم، فإن لحدوث الشرك في الأمم أسباباً أدت إلى ظهوره وانتشاره، وفي المباحث الآتية بيان لأهم أسباب الشرك الواردة في القرآن الكريم.

(١) أخرجه البخاري ٣/٢٤٦ (ح١٣٨٥)، ومسلم ٤/٢٠٤٧ (ح٢٦٥٨).

المبحث الأول

الإعجاب والتعظيم والغلو في المخلوقين

إن من أعظم أسباب الشرك الغلو[١] في المخلوق، وتعظيمه، ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر المعظَّمين»[٢].

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تنهى عن الغلو وتحذر منه، وتبين أنه من أسباب الشرك والضلال، وذلك بأساليب متنوعة منها:

١ ـ **الإخبار بأن أول شرك حدث في الأرض** كان سببه الغلو، كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن قوم نوح عليه السلام أنهم حينما دعاهم إلى التوحيد ونبذ الشرك كذبوه وردوا دعوته: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]؛ أي: قال لهم سادتهم ورؤساؤهم: «لا تتركوا عبادة هذه الأوثان: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر»، وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، غلا فيهم أتباعُهم، فلما ماتوا صوروا لهم تماثيل وسموها بأسمائهم لكي يتذكروهم فينشطوا في العبادة، فآل بهم الأمر إلى الشرك، فعبدوهم من دون الله[٣].

٢ ـ **النهي الصريح**، فقد نهى الله عز وجل في القرآن الكريم عن الغلو بلفظه الصريح، وذلك في آيتين:

---

(١) **الغلو في اللغة**: مجاوزة الحد، انظر: لسان العرب ٦/ ٣٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري ٨/ ٦٦٧ (ح٤٩٢٠)، وتفسير ابن جرير ١٢/ ٢٥٤.

الأولى: قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

ففي هذه الآية ينهى الله ﷻ أهلَ الكتاب[١] عن الغلو في دينهم، فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام حتى رفعوه إلى مقام الألوهية فعبدوه من دون الله، بل غلوا في أتباعه فَقَدَّسوهم وادَّعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل شيء، حتى في تحليل الحرام وتحريم الحلال، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١][٢].

وهذا الخطاب وإن كان موجهاً لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة، تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل اليهود والنصارى[٣].

وأما الآية الثانية: فهي قول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

ففي هذه الآية يأمر الله ﷻ نبيّه محمداً ﷺ أن ينهى أهل الكتاب عن الغلو الباطل في أمر المسيح عليه السلام، حيث تجاوزوا فيه منزلة العبودية لله ﷻ، وجعلوه في منزلة الألوهية، كما يأمره ـ تعالى ـ أن ينهاهم عن اتباع أهواء من سبقهم من اليهود، ومشايخ الضلال الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيراً من الخلق، وحادوا عن الطريق المستقيم إلى طريق الغواية والضلال[٤].

٣ ـ وصف الغلوّ بأنه اعتداء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾

---

(١) جمهور المفسرين على أن المراد بأهل الكتاب في هذه الآية وفي آية المائدة الآتي ذكرها: النصارى خاصة، وقال بعضهم المراد: اليهود والنصارى، فيكون غلو اليهود في عيسى على هذا القول هو الإفراط في ذمه ووصفه بما لا يليق به. انظر: زاد المسير ٢/ ٢٢٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٦٠٨.

(٣) فتح المجيد ص١٧١.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير ٤/ ٦٥٥، وتفسير ابن كثير ٢/ ٨٥.

[المائدة: ٨٧]، فإن الله ـ تعالى ـ لما مدح الرهبان في الآيات التي تقدمتها[١]، وكان ذلك داعياً إلى الترهُّب، عقَّب ذلك بالنهي عنه في هذا الدين، فإنه ـ تعالى ـ بناه على التوسط رحمة لأهله ولطفاً بهم، وتشريفاً لنبيّهم ﷺ[٢].

وقد تتابعت نصوص السُّنَّة أيضاً في النهي عن الغلو، والتحذير منه في الاعتقادات والأعمال والألفاظ وبأساليب متنوعة، والأحاديث في هذه المعنى كثيرة معلومة[٣].

ومع هذه النصوص الكثيرة الناهية عن الغلو، المحذرة منه، المبيِّنة لأضراره، وقع كثير من المسلمين في الغلو، وتلبسوا بكثير من مظاهره، لا سيما في الأزمان المتأخرة، فقد رفعوا النبي ﷺ إلى مقام الألوهية، ودعوه من دون الله، وأقاموا الموالد المبتدعة، وعظّموا كثيراً من الأولياء والصالحين، وتبركوا بآثارهم، وبنوا على قبورهم المساجد والقباب، وطافوا بها كما يطوفون بالكعبة، واستغاثوا بهم، ودعوهم من دون الله، بل لم يقتصر الأمر على الغلو في الأولياء والصالحين، حيث غلا بعض الناس بالمجاهيل، والمنافقين، والفسقة[٤].

(١) وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ...﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٦].

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦/ ٢٧٤، وانظر: تفسير ابن جرير ٥/ ٩.

(٣) انظر: رياض الصالحين للإمام النووي ص(٩٤).

(٤) انظر: صراع بين الحق والباطل، للأستاذ سعد صادق محمد.

المبحث الثاني

التقليد

التقليد[١] سبب كبير من أسباب الشرك، وعقبة كَؤُود[٢] وقفت في طريق التوحيد، وشبهة اتفقت عليها جميع الأمم لتردَّ بها دعواتِ الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن التقليد، ولكن بلفظ: «الاتِّباع»، وبيّن أنه ليس مذموماً على الإطلاق، بل منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، فما كان تقليداً لرسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أو المؤمنين الصالحين فهو تقليد محمود مثاب صاحبه[٣].

وما كان تقليداً للكفار والفسَّاق والمشركين فهو تقليد مذموم[٤].

أنواع التقليد في القرآن الكريم:

النوع الأول: التقليد المحمود، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تقليد الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، فإن اتباعهم والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم أمر مطلوب، بل هو واجب، إذْ هم المبلغون عن الله، المبعوثون لهداية البشر، اختارهم الله ﷻ على علم على العالمين.

---

(١) **التقليد في اللغة**: مصدر قلَّدَ، قال في المعجم الوسيط ٢/ ٧٥٤: «قلَّده القلادة: جعلها في عنقه، وقلّد فلاناً: اتبعه فيما يقول من غير حجة ولا دليل، وقلد فلاناً: حاكاه». والتقليد بهذا المعنى هو المقصود هنا.

(٢) أي: شاقَّة المصعد. مختار الصحاح ص٢٣٤.

(٣) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار سعيد ص١٦١.

(٤) وقال المراغي في تفسيره ٢/ ٤٥: «ليس هذا بتقليد بل اتباع لما أنزل الله».

ولذلك أمر الله ﷻ باتباعهم، وأثنى على المقتدين بهم.

قال الله ﷻ حاثّاً على الاقتداء برسوله ﷺ مؤكداً وجوب اتباعه والتزام هديه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

والأسوة: القدوة[1].

القسم الثاني: تقليد المؤمنين الصادقين، فإن تقليدهم محمود ممدوح صاحبه، ولكن بشرط أن يكون ما قُلِّدوا فيه أمراً مشروعاً موافقاً للكتاب والسُّنَّة.

قال ـ تعالى ـ بعد أن ذكر بعض كرامات المتقين وما أعده لهم من أنواع النعيم في الجنة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ [الطور: ٢١].

النوع الثاني: التقليد المذموم، والذي هو من أكبر أسباب الشرك، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تقليد الآباء الضالين، وهو الذي تمسَّكت به جميع الأمم الشركية، وآثرته على اتباع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وإنما احتجت به وتمسكت لأنه ليس لديها دليل صحيح على صحة ما هي عليه من الشرك والضلال، ولذلك أنكر الله ـ تعالى ـ على المشركين هذا التقليد الباطل، وكشف زيفه وسخر من أهله.

فحينما ذكر الله ـ تعالى ـ عن مشركي العرب مقولتهم الكاذبة في أن الملائكة عليهم السلام بنات الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ، وأنهم اتخذوا الأصنام على صورهم وعبدوها من دون الله، بيّن أنه ليس لهم دليل صحيح على ما ادَّعوه، وإنما هو محض التقليد الأعمى لآبائهم وأجدادهم الضالين، ثم قال مسلِّياً لرسوله ﷺ مخبراً أن جميع الأمم قد شابهت أمته في هذه المقولة الكاذبة،

---

(١) قال الراغب: «الأُسوة والإسوة كالقِدوة والقُدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً». المفردات ص٧٦.

وسبقتها إلى هذه الشبهة الباطلة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾[1] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزُّخرُف: ٢٣]، ثم ذكر ﷻ جواب كل رسول لقومه: ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾؛ أي: أفرأيتم إن جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم هل أنتم متبعي؟ وهنا أعلنوا كفرهم وعنادهم وإصرارهم على الشرك، حتى وإن علموا صدق رسلهم، وفساد ما كان عليه آباؤهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ [الزُّخرُف: ٢٤]، ولما كان هذا جوابهم ذكر الله جزاءهم العادل: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [الزُّخرُف: ٢٥].

وقد حكى الله ـ تعالى ـ هذه المقولة الباطلة عن عدد من الأمم، وذلك في ثنايا قصصهم مع أنبيائهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ[2].

وحكى الله ـ تعالى ـ عن مشركي العرب أنهم إذا دعوا إلى اتباع ما أنزل الله من البينات والهدى، واتباع الرسول ﷺ أبوا وأعرضوا عن ذلك مكتفين بما ورثوه عن آبائهم من الشرك والضلال المبين كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾، قال الله ـ تعالى ـ منكراً عليهم هذا التقليد الأعمى، مبيّناً بطلان هذه المقالة الفاسدة: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠].

فإذا كانوا بهذه الحالة فكيف يصح تقليدهم واتباعهم!

القسم الثاني: تقليد السادة والرؤساء الضالين، وهذا سبب كبير من أسباب الشرك كما تقدم، فإن الناس يحرصون على تقليد كبرائهم وسادتهم، ومشابهتَهم، وذلك لما يرجونه منهم من المطامع الدنيوية، كما أن أولئك السادة والكبراء يبذلون كل ما يستطيعون لكي يصرفوا الناس عن توحيد الله ﷻ والإيمان برسله، حتى يُبْقوهم بين أيديهم كالقطعان السائبة يُصَرِّفونها كما يشاؤون.

---

(١) قوله: ﴿أُمَّةٖ﴾؛ أي: طريقة ومذهب، وقوله: ﴿مُّتۡرَفُوهَآ﴾؛ أي: أغنياؤها ورؤساؤها، فتح القدير ٤/ ٧٧٢ ـ ٧٧٣.

(٢) انظر: سورة المؤمنون: آية ٢٤، وهود: آية ٦٢، و٨٧، والشعراء: آية ٨٤.

قال ـ تعالى ـ عن قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ [نوح: ٢١].

وقال ـ تعالى ـ عن قوم هود عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود: ٥٩].

وقال ﷻ عن قوم فرعون: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ [هود: ٩٧].

ولذلك يندم المقلدون للسادة الطواغيت، المؤثرون اتباعَهم على اتباع الرسل، وذلك حينما يعاينون العذاب يوم القيامة، ويكتوون بنار جهنم، ولات ساعة مندم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

ومما يؤسف له أن هذا التقليد الأعمى لم يزل موجوداً في هذه الأمة الإسلامية خصوصاً في أبواب الاعتقاد، فإن كثيراً من المسلمين حينما يُنكَر عليه ما عنده من الشرك والبدع، ويُبيَّن له مخالفة ذلك للكتاب والسُّنَّة، يأبى ذلك الإنكار ويصرُّ على البقاء على ما هو عليه من الشرك والبدع والضلال، محتجاً بأنه ورث هذا العمل كابراً عن كابر، أو بأن الزعيم الفلاني أو الشيخ الفلاني يعمل هذا العمل ويأمر به، وهذا هو التقليد الأعمى الذي نهى الله ـ تعالى ـ عنه، وهذا هو عين الإعراض عن كتاب الله ـ تعالى ـ وسُنَّة رسوله ﷺ.

المبحث الثالث

اتباع الهوى

الهوى[١] مرض خطير، وداء جسيم، متى ما غلب على الإنسان انطمس قلبه، وعميت بصيرته، وتحكمت فيه شهوته.

ولما كان الهوى بهذه الصفة كان اتباعه وتقديمه على حكم الله وشرعه من أسباب الشرك وعوائق التوحيد، بل إن الهوى نفسه إلٰهٌ يعبد من دون الله، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقد نهى الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم عن اتباع الهوى، وحذر منه بأساليب متنوعة منها:

١ ـ **النهي الصريح**، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ . . .﴾ [النساء: ١٣٥].

٢ ـ **أن الله ﷻ جعل متبع الهوى بمنزلة عابد الوثن**[٢]، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

٣ ـ **تشبيه أتباع الهوى بأخس الحيوانات صورة ومعنى** وهو الكلب[٣]، كما قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ

---

(١) **الهَوَى** ـ بالقصر ـ **في اللغة**: هوى النَّفْس؛ أي: إرادتها، والجمع: أهواء، انظر: لسان العرب ٨/ ٤٧٢٨، واصطلاحاً: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع، التعريفات للجرجاني ص٢٥٧.

(٢) انظر: روضة المحبين ص٤٠٦.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٤٠٥.

ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

٤ ـ **الإخبار بالثواب الجزيل لمن نهى نفسه عن هواها**، كما قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

٥ ـ **النهي عن طاعة أهل الأهواء**، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

٦ ـ **الإخبار بأن اتباع الهوى ظلم**، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥].

٧ ـ **الإخبار بأن متبع الهوى أضلُّ الناس**، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ . . .﴾ [القصص: ٥٠].

ولما أنكر الله ـ تعالى ـ على المشركين عبادة الأصنام، واتخاذهم البيوتَ لها مضاهاةً للكعبة، بيّن أنه ليس لهم دليل أو حجة على ما ادعوا فيها من الإلٰهية، بل هي أسماء مجردة، حملهم على عبادتها وتأليهها ظنونهم الكاذبة، وأهواؤهم الباطلة، معرضين بذلك عمّا أنزل الله ـ تعالى ـ من البينات والهدى[1]، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧١، وتفسير السعدي ٧/ ٢٠٨.

والناظر في حال الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً يجد أن اتباع الهوى سببٌ كبير للشرك، وذلك من وجهين:

الأول: أن بعض المسلمين ابتدعوا بدعاً استحسنوها بآرائهم، ونظَّروها بأهوائهم، فآل بهم الأمر إلى الشرك، وهذا كثير في المسلمين.

الثاني: أن كثيراً من المسلمين حينما يُنكر عليه وينهى عمّا يقع فيه من الشرك يأبى ويصرّ على ما هو عليه، وذلك لغلبة الهوى على قلبه.

المبحث الرابع

الكِـــبْرُ

الكبر[١] عِلّة خفية، وخُلُق ذميم، وذنب عظيم، ولذلك كان سبباً كبيراً من أسباب الشرك وعائقاً منيعاً في طريق التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل مستكبر فهو مشرك، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكباراً عن عبادة الله، وكان مشركاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤] إلى قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧]»[٢].

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم عن كثير من الأمم أنهم رفضوا التوحيد الذي جاءت به الرسل وبقوا على شركهم عناداً واستكباراً من بعد ما تبين لهم الحق:

فقال عن قوم نوح على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٧].

وقال ـ سبحانه ـ عن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟

---

(١) **الكِبْرُ في اللغة**: يقال كَبُرَ ـ بالضم ـ يكبُر؛ أي: عظم فهو كبير، والكبرياء: العظمة والملك، ولا يوصف بها إلا الله ـ تعالى ـ، انظر: لسان العرب ٦/ ٣٨٠٧. وقال الراغب: «الكبرُ الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر: التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة». المفردات ص٦٩٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٩٧.

إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

وقال ﷻ عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقال ﷻ عن فرعون وقومه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونس: ٧٥].

وقال ﷻ عن اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال ـ سبحانه ـ عن مشركي العرب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

«والاستكبار: شدة الكبر، فالسين والتاء للمبالغة؛ أي: يتعاظمون عن أن يقبلوا ذلك من رجل مثلهم»[1].

وقد وردت النصوص القرآنية الكثيرة محذرةً من الكبر، موضحةً خطورته، مبيّنةً جزاء من اتصف به، وذلك بأساليب مختلفة منها:

١ ـ الإخبار بأن سبب كفر إبليس ولعنته وإخراجه من الجنة إنما هو الكبر، فهو أول ذنب عُصي الله ﷻ به، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١١ ـ ١٣].

«وقد كرر الله ذكر هذه القصة في كتابه، وأخبر فيها أن امتناع إبليس من السجود كان كبراً منه وكفراً ومجرد إباء، وإنما ذكر تلك الشبهة[2] تعنتاً وإلا

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٣/١٠٧.

(٢) وهي قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

فسبب معصيته الاستكبار والإباء والكفر»[١].

٢ ـ **النهي عن أخلاق المتكبرين**، قال ﷻ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]. قال القرطبي: «معنى الآية: ولا تمل خدك للناس كبراً عليهم، وإعجاباً واحتقاراً لهم»[٢].

٣ ـ **الإخبار بأن النار دار المتكبرين**، وأن الجنة محرمة عليهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: صاغرين ذليلين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فإنهم لما تكبروا عن عبادة الله ـ تعالى ـ في الدنيا ألبسهم ثوب الذل والصغار في الآخرة والآيات في هذا المعنى كثيرة.

٤ ـ **الإخبار بأن الله ﷻ لا يحب المستكبرين**، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣].

٥ ـ **الإخبار بأن من صفات الملائكة التي يُحمدون عليها أنهم لا يستكبرون** عن عبادة الله وحده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

٦ ـ **الإخبار بأن الله ـ تعالى ـ يَصْرف قلوب المتكبرين عن فهم آياته**، ويطبع عليها فلا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً، وذلك جزاء تكبرهم عن عبادة الله، وتجبرهم على خلقه بغير حق، كما قال ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥].

وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تحذر من الكبر وتبيّن عاقبته، ومن ذلك قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر**»[٣].

---

(١) بدائع الفوائد ٤/ ٣٢٠ بتصرف يسير، وقد فنّد ابن القيم رحمه الله هذه الشبهة من خمسة عشر وجهاً.

(٢) تفسير القرطبي ١٤/ ٤٧.

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٩٣ (ح١٤٧).

والمتأمل في حال المسلمين يجد أن هذا الخلق الذميم ـ عافانا الله تعالى منه ـ لا يسلم منه إلا القليل، فمستقلٌّ منه ومستكثر، ويتجلى ذلك في مظاهر كثيرة، أهمها وأخطرها التكبر عن قبول الحق والرجوع عن الباطل، والاعتراف بالخطأ، وهذا من أسباب بقاء كثير من الشركيات، والعقائد المنحرفة بين المسلمين.

المبحث الخامس

إهمال العقل، وعدم التفكر في آيات الله ـ تعالى ـ

إن من أجلِّ نِعَم الله ـ تعالى ـ على الإنسان نعمة العقل التي فُضِّلَ بها على سائر المخلوقات، فبالعقل يميز الإنسان الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والطيب من الخبيث.

وقد جاءت الشرائع السماوية موافقةً للعقول السليمة، والفطر المستقيمة، ولذلك دلت العقول السليمة على وجوب إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة وبطلان الشرك.

قال القرطبي عند قوله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]: «أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه، وليس منها شيء منسوخ، وكذلك هي في جميع الكتب، ولو لم يكن كذلك لعرف ذلك من جهة العقل، وإن لم ينزل به الكتاب»[(١)].

وقال ابن القيم: «قال تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ولم يقل: إلهكم، والرب: هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح، والله ﷻ هو الرب بهذه الاعتبارات كلها، فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة مَن هذا شأنه وحده لا شريك له»[(٢)].

ولهذا ينكر الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم على المشركين إهمال عقولهم وعدم الاستدلال بها على وحدانيته ﷻ، فهناك آيات كثيرة في سياق مجادلة

---

(١) تفسير القرطبي ٥/ ١١٨.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٤/ ٣١٥، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٩١، لكن الله تعالى لا يؤاخذ الناس إلا بعد إرسال الرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

المشركين، وإبطال شركهم يختمها الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤]، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة: ١٠٣]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨].

ومن أعظم وظائف العقل التي خلق من أجلها التفكر[١] في آيات الله ـ تعالى ـ الدالة على ربوبيته، وإلٰهيته، وقدرته، وعظمته، وحكمته، ورحمته.

وقد حثَّ الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم على التفكر في آياته، وأثنى على المتفكرين المستبصرين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

كما ذم الله ﷻ من لا يتفكر في مخلوقاته الدالة على وحدانيته وعظمته، قال ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥].

وآيات الله ـ تعالى ـ التي أمر بالتفكر فيها نوعان:

النوع الأول: الآيات المتلوة المسموعة، وهي آيات القرآن الكريم، فإن القرآن إنما نزل ليَتَدَبَّر[٢] الناس آياته ويتفكروا فيها «فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها»[٣]، كما قال ﷻ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ولهذا أنكر الله ﷻ على المشركين

---

(١) قال ابن منظور: الفكر: إعمال الخاطر في الشيء...، وقال الجوهري: «التفكر: التأمل». لسان العرب ٦/ ٣٤٥١.

(٢) **التَدَبُّر في اللغة**: النظر في عاقبة الشيء، انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٨٢، وقال الجرجاني: «عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب» التعريفات ص١٧. وتدبر القرآن: «التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء» تفسير أبي حيان ٩/ ٣٣٨.

(٣) تفسير السعدي ٦/ ٤١٨.

إعراضهم عن تدبر القرآن، والتفكر في آياته، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨].

النوع الثاني: الآيات الكونية المرئية، وهي ما نشاهده في هذا الكون الفسيح من الدلائل الواضحة، والبراهين الساطعة، والمشاهد الباهرة، في الأنفس والآفاق، والتي تشهد بأن لهذا الكون ربّاً عظيماً قديراً لا تنبغي العبادة إلا له ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدّاً، والمقصود بيانه هنا هو أن الإعراض عن تدبّر آيات الله ﷻ المسموعة والمرئية، وعدم التفكر فيها سبب كبير من أسباب الشرك، فقد أسلم كثير من الناس قديماً وحديثاً حينما قَرَعَتْ أسماعهم آيات القرآن الكريم، فأنصتوا لها متدبّرين، وتأملوها متجردين، وأسلم آخرون حينما انكشفت لهم بعض مظاهر عظمة الخالق المتمثلة في بديع صنعه وعجيب خلقه.

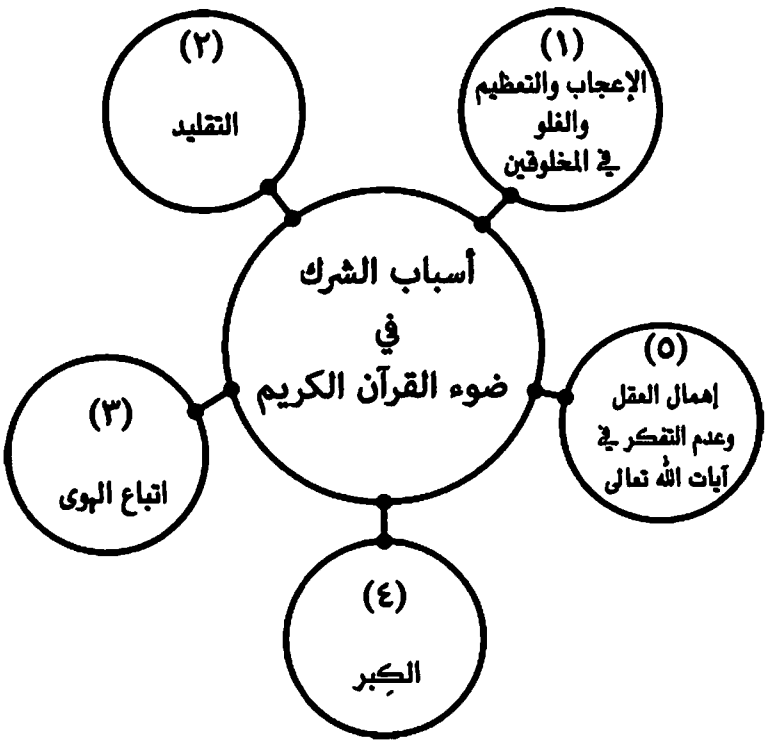

الفصل الثاني

مظاهر الشرك الواردة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر الشرك الاعتقادية في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مظاهر الشرك العملية في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مظاهر الشرك القولية في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول

مظاهر الشرك الاعتقادية في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول

شرك المحبة

إن الباعث على كل عمل هو المحبة، فالإنسان لا يعمل عملاً من الأعمال إلا وهو محب له، أو لما يترتب عليه من جلب منفعة أو دفع مضرة، وعبادة الله ﷻ مبنية على المحبة، بل هي حقيقة العبادة[١]، كما أن أصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة[٢]، «ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم توصلت بهم هذه المحبةُ إلى أن عبدوها من دون الله أو مع الله»[٣].

أقسام المحبة:

تنقسم المحبة إلى قسمين:

القسم الأول: المحبة الخاصة، وهي محبة العبودية التي تستلزم الذل والتعظيم والطاعة للمحبوب، وهذه خاصة بالله ـ تعالى ـ، وصرفها لغيره شرك أكبر.

القسم الثاني: المحبة المشتركة، وهي خمسة أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وهي محبة ما يحبه الله ﷻ من الأشخاص كالأنبياء والصالحين، أو الأعمال كالصلاة والزكاة، وهذا النوع واجب على المكلف.

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢/ ١٤١.
(٢) قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل لابن تيمية ٢/ ٢٥٥.
(٣) شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢/ ١٤١.

النوع الثاني: محبة إجلال وإعظام كمحبة الولد لوالده.

النوع الثالث: محبة إشفاق ورحمة، كمحبة الوالد لولده.

النوع الرابع: محبة أُنْس وإلفة، كمحبة الصديق لصديقه، والأخ لأخيه.

النوع الخامس: المحبة الطبيعية، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء[1].

وهذه الأنواع الأربعة الأخيرة جائزة، لا يؤاخذ الإنسان بحبها، ولا تعد شركاً، بل قد تكون مندوبة، وذلك إذا اقترنت بالنية الصالحة، كأن يحب الولد والده امتثالاً لأمر الله وقياماً بواجب البر، ويحب الإنسان الطعام لكي يعينه على طاعة الله وهكذا، لكن يشترط أن لا تزاحم هذه المحبةُ محبةَ الله، بحيث يترتب عليها الإخلال بشيء من أمر الله وشرعه، فإنها حينئذٍ تكون مذمومة، بل قد تكون شركاً، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤] ففي هذه الآية يأمر الله ـ تعالى ـ رسوله ﷺ أن يتوعد من قدم محبة هذه الأمور الثمانية على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله من الأعمال الصالحة، وأما من أحبها ولم يُؤْثِرْها على محبة الله أو يساويها بها فهو غير مذموم.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم لمحبته علاماتٍ تعرف بها، فمنها:

١ ـ تقديم ما يحبه الله ﷻ ويرضاه على ما تحبه نفسه وتهواه، كما في الآية السابقة.

٢ ـ اتباع الرسول ﷺ، وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) انظر: القول السديد ص١١٢، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٢٣٦، وشرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢/ ١٤١.

قال بعض السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية[١].

٣ ـ الذلة على المؤمنين؛ أي: اللين والرفق والرحمة بهم.

٤ ـ العزة على الكافرين، وذلك بالشدة عليهم والغلظة والرفعة.

٥ ـ الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال.

٦ ـ الثبات على الحق، ونصرته، والدعوة إليه، وعدم الالتفات إلى لوم الناس وتنقصهم.

ويدل على هذه العلامات الأربع الأخيرة قوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

الشرك في المحبة:

أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وأصل الشرك به الشرك في المحبة[٢]، فمن أحب أحداً من الخلق كما يحب الله ﷻ فهو مشرك شركاً أكبر، كما قال ﷻ عن المشركين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥] فإن الله ﷻ لما بيّن في الآيتين اللتين تقدمتا هذه الآية[٣] انفرادَه بالوحدانية بالأدلة القاطعة والبراهين الواضحة ذكر في هذه الآية أن من الناس ـ مع هذا البيان التام ـ من اتخذ من دون الله أمثالاً ونظراء يساوونهم بالله في العبادة، والمحبة، والتعظيم[٤]، ثم مدح ﷻ المؤمنين مبيِّناً أنهم أشد حبّاً لله من أهل الأوثان

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٦.

(٢) القول السديد ص١١٠، والشرك الأكبر حقيقته وحكمه وأنواعه ١/ ١٣٦.

(٣) وهما قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ الآيتان [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

(٤) انظر: تفسير السعدي ١/ ١٩٥، وقيل المراد: يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، تفسير ابن جرير ٢/ ٧١.

لأوثانهم[١]؛ لأن محبتهم له خالصة بخلاف محبة المشركين فإنها ممزوجة بمحبة أندادهم، وفي ختام الآية يتوعد ﷻ هؤلاء المشركين الظالمين لأنفسهم باتخاذهم الأنداد ومحبتهم لها مخبراً عن حالهم حينما يعاينون العذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يعلمون فيه علم اليقين أن القوة والقدرة والأمر والحكم لله وحده لا شريك له، وأن الله شديد العذاب لمن أشرك به وعصاه[٢].

وقد انتشر هذا النوع من الشرك بين كثير من المسلمين ـ مع الأسف الشديد ـ ويتجلى ذلك في مظاهر كثيرة من أخطرها وأكثرها انتشاراً الغلو في محبة النبي ﷺ والأولياء والصالحين، وتعظيمهم تعظيماً يضاهي تعظيم الله، وقد تقدم الكلام على هذا الأمر في مبحث الغلو في الفصل الأول.

المطلب الثاني

شرك الخوف

الخوف[٣] من الله من أعظم العبادات وأجلِّ المقامات، ولذلك يجب إخلاصه لله ﷻ.

والخوف من غير الله ﷻ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم، وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه بقدرته ومشيئته، ويسمى خوف السِّر، وهذا شرك أكبر.

---

(١) هذا قول أكثر المفسرين انظر: تفسير ابن جرير ٢/ ٧١، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المراد: أشد حباً لله من محبة أهل الأوثان لله. الفتاوى ٨/ ٣٥٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٩٥، وتفسير السعدي ١/ ٢٠٨.

(٣) **الخوف لغة**: الفزع، وعرَّفه بعضهم بقوله: «توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة» لسان العرب ٣/ ١٢٩٠، المفردات ص٣٠٣. والخشية والرهبة والوجل بمعنى الخوف، وليست مرادفة له بل هي مقاربة، والفرق بين الخوف والخشية: أن الخشية: خوف مبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه وقدرته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، بخلاف الخوف فقد يكون من ضعف الخائف. انظر: مدارج السالكين ١/ ٥٤٩، والقول المفيد لابن عثيمين ٢/ ١٧٠.

القسم الثاني: أن يخاف الإنسان من غير الله خوفاً يترتب عليه ترك واجب أو فعل محرم، وهذا شرك أصغر ينافي كمال التوحيد، ويدل على ذلك قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٥].

وذلك أن المشركين لما انصرفوا راجعين إلى مكة يوم أُحد، ندب النبي ﷺ الصحابة إلى الخروج في إثرهم ترهيباً لهم، فخرجوا معه ﷺ حتى بلغوا حمراء الأسد[(١)]، فقدم عليهم ركب وأخبروهم أن المشركين قد أجمعوا الرجعة عليهم ليستأصلوهم، فلم يزدهم ذلك إلا إيماناً بالله واتكالاً عليه، حيث قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ فبلغ المشركين أن النبي ﷺ وأصحابه قد خرجوا في إثرهم فخافوا ورجعوا إلى مكة، فأنزل الله هذه الآيات[(٢)].

القسم الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من شيء يضر ويؤذي في العادة، كالخوف من عدو أو سَبُع ونحو ذلك، وهذا النوع جائز ولا يذم صاحبه، ومنه قوله ﷻ عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص: ٣٣]، وقوله عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [يوسف: ١٣]، وقوله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٨][(٣)].

---

(١) **حمراء الأسد**: موضع على ثمانية أميال من المدينة، معجم البلدان ٢/ ٣٠١.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٣/ ٥٢١، وتفسير البغوي ١/ ٣٧٣، والصحيح المسند من أسباب النزول ص٦٦.

(٣) انظر لما سبق: تيسير العزيز الحميد ص٣٦١، وفتح المجيد ص٢٨١، والقول السديد ص١١٥، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٢٤٤، وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص٥٦.

وقد حثَّ الله ﷻ في القرآن الكريم على خوفه وندب عباده إلى ذلك بأساليب متنوعة منها:

١ ـ الأمر الصريح، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠].

٢ ـ جعلُ الخوف منه ﷻ شرطاً في تحقيق الإيمان، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

٣ ـ الإخبار بأن الخوف من الله ـ تعالى ـ من صفات الملائكة التي يحمدون عليها، كما قال ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٤ ـ الإخبار بأنه من صفات الرسل عليهم السلام، كما قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩].

٥ ـ المدح؛ حيث مدح الله ـ تعالى ـ أولياءه الصالحين الذين يخافونه وحده وأثنى عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ الآيات إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

٦ ـ بشارة الخائفين بالجنة، كما قال ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، وقال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

الشرك في الخوف:

الخوف المستلزم للعبادة والتعظيم لا ينبغي أن يكون إلا لله فصرفه لغيره شرك أكبر كما تقدم، وهو من أسباب عبادة المشركين للأصنام، ولذلك كانوا يخوفون بها الأنبياء، كما قال ـ تعالى ـ عن إبراهيم عليه السلام حينما خوفه قومُهُ بآلهتهم الفاسدة لما عابها وأنكر عليهم عبادتها: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨٢].

فقد بيّن لهم عليه السلام أنه لا يخاف من آلهتهم الباطلة لأنها أصنام جامدة لا تضر ولا تنفع، ثم قال لهم منكراً عليهم متعجباً من حالهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾، واعجباً لكم تخوفونني بآلهتكم الباطلة العاجزة الجامدة، وأنتم لا تخافون الله الواحد القهار، حيث تشركون به غيره بغير دليل ولا برهان، ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾؟! قال الله ـ تعالى ـ حاكماً وفاصلاً بين الفريقين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، نعم المؤمنون الذين أخلصوا إيمانهم لله فلم يخلطوه بشرك لهم الأمن التام من جميع المخاوف في الدنيا والآخرة، وهم المهتدون الموفقون لكل خير[١].

ولما دعا النبيُّ ﷺ قومه إلى توحيد الله ونبذ الشرك، خوفوه بآلهتهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

وقد وقع هذا النوع من الشرك عند كثير من المسلمين، لا سيما في العصر الحاضر، حيث إنهم يخافون من يزعمون أنهم أولياء وصالحون من الأحياء والأموات، بل ويخافون الجن والشياطين كما يخافون الله ـ تعالى ـ أو أشد، ويقدمون لهم القربات والنذور مخافة أن يمسوهم بسوء.

المطلب الثالث

الـرِّيَاءُ

الرياء[٢] داء خطير، ومزلق كبير، ومدخل من مداخل الشيطان دقيق.

ولقد نهى الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم عن الرياء، وذم المرائين بأساليب متنوعة منها:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٧، وتفسير السعدي ٢/ ٤٢٥.

(٢) الرياء لغة: أن يري الإنسانُ غيرَه خلافَ ما هو عليه حقيقةً. بصائر ذوي التمييز ٣/ ١١٦. وقال الحافظ ابن حجر: «هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها» الفتح ١١/ ٣٣٦. والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم. انظر: المرجع السابق.

١ ـ النهي عنه، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

ففي هذه الآية يأمر الله ـ تعالى ـ كل من يرجو لقاءه[١] ـ وذلك أعظم مرجو وخير مطلوب ـ أن يتزود لذلك بالعمل الصالح وهو الموافق للشرع، المطابق للسُّنَّة، وأن يخلص هذا العمل لله وحده، فلا يرائي به أحداً من الناس.

قال ابن جرير: «وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ يقول: ولا يجعل له شريكاً في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلاً له شريكاً بعبادته إذا رآى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره»[٢].

٢ ـ الإخبار بأنه من صفات المنافقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

٣ ـ وعيد المرائين بالويل والعذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧].

٤ ـ الإخبار بزوال عمل المرائي واضمحلاله وبطلانه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وكما حذر الله ـ تعالى ـ من الرياء وذم المرائين فقد حذر النبي ﷺ أمته من الرياء، وخافه عليهم خوفاً شديداً[٣]

---

(١) والمقصود به هنا لقاء الرضاء والنعيم والمتضمن رؤيته سبحانه. انظر: القول المفيد ٢/٢٢٩.

(٢) تفسير ابن جرير ٨/٢٩٩.

(٣) كما قال ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**، قالوا: وما الشرك الأصغر =

أقسام الرياء:

القسم الأول: الرياء في أصل العبادة، وهو أن يكون الحاملُ للعبد على العبادة قصدَ مراءاة الناس، فهذا العمل باطل، وهو شرك أصغر، فإن قلب نيته إلى إرادة الثواب، أو كان الحامل له على العبادة الإخلاص ثم طرأ عليه الرياء في أثنائها، صح ما أخلص فيها، إن لم ينبن آخرها على أولها كالصدقة، وبطلت إن كان ينبني آخرها على أولها كالصلاة[١].

القسم الثاني: أن يكون الباعث على العبادة إرادة الثواب والرياء معاً، فهذه العبادة باطلة على الراجح؛ لقوله ﷺ: «**قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[٢].

القسم الثالث: أن يكون بعد الفراغ من العبادة، وذلك بأن ينوي العبادة مخلصاً لله فيها ثم يخبر بها الناس مراءاةً لهم وطلباً لمدحهم وثنائهم، فهذا العمل محرم؛ لقوله ﷺ: «**من سمّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»[٣]، ولا تبطل به العبادة؛ لأنه أداها مخلصاً فيها لله ـ تعالى ـ.

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته وثنائهم على ذلك استبشاراً بفضل الله، وسروراً بتوفيقه لهذه العبادة التي أدَّاها مخلصاً لله فيها، فقد سُئل ﷺ: «أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ـ وفي

= يا رسول الله؟ قال: **الرياء**» أخرجه أحمد ٣٩/ ٣٩ (ح٢٣٦٣٠). وقال المنذري: إسناده جيد، الترغيب والترهيب ١/ ٦٨ (ح٢٣)، وحسَّن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام، انظر: بلوغ المرام ٤/ ٣٥٥ (ح٣٩٦).

(١) لكن يستثنى من ذلك ما إذا خطر الرياء على قلب الإنسان فدافعه وتخلص منه فإنه لا شيء عليه، انظر: القول السديد ص١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٨٩ (ح٢٩٨٥).

(٣) أخرجه البخاري ١١/ ٣٣٥ (ح٦٤٩٩)، ومسلم ٤/ ٢٢٨٩ (ح٢٩٨٧).

رواية: ويحبه الناس عليه ـ قال: **تلك عاجل بشرى المؤمن**»[١][٢].

وللرياء مظاهر عديدة، ومسالك دقيقة، وصور كثيرة، وقلَّ من ينجو منه، لا سيما في هذه الأزمان التي ضعف فيها خوف الله ـ تعالى ـ، وعزت فيها مراقبته، وأُشربت القلوب مدح الناس، والتزيّن لهم، وطلب ثنائهم وإعجابهم، والحرص على نيل رضاهم وإطرائهم، وقد كان السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ يخافون خوفاً شديداً من الوقوع في الرياء، ويحرصون أشد الحرص على إخفاء أعمالهم الصالحة[٣].

ومما ينبغي التنبيه عليه أنه لا يجوز ترك العمل خوفاً من الرياء، بل هذا هو عين الرياء، كما قال الفضيل بن عياض: «ترك العمل لأجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك»[٤].

المطلب الرابع

التَبَرُّك

التَبَرُّك: مصدر تَبَرَّكَ، وهو طلب حصول البركة، وهي كثرة الخير وثبوته[٥]، وقد وردت مادة «برك» وما تصرف منها في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة، والمتأمل للآيات التي ذكرت فيها البركة يجد أن البركة في الأصل من الله ﷻ، فهي تطلب منه وحده، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٣٤ (ح٢٦٤٢).

(٢) انظر في هذه الأقسام: إحياء علوم الدين ٣/ ٣٠١، وجامع العلوم والحكم ص١٨، والقول السديد ص١٢٨، والقول المفيد ٢/ ٢٢٧، ومقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ٢/ ١٠١.

(٣) انظر: شرح حديث: «**ما ذئبان جائعان**» لابن رجب ص٦٧.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٩٥.

(٥) **البركة في اللغة**: لها معنيان: الثبوت، والنماء والزيادة، والمراد بالبركة الشرعية: كثرة الخير وثبوته، انظر: لسان العرب ١/ ٢٦٥، والقاموس المحيط ٣/ ٣٩٩، والمفردات ص١١٩، والتبرك أنواعه وأحكامه ص٣٩.

ومعنى تبارك: عَظُمَ وتعالى وكثرت بركته، ولا يوصف به إلا الله - تعالى -[١].

الأمور الموصوفة بالبركة في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم وصف بعض الأمور بأنها مباركة، وعلى هذا يشرع التبرُّك بها، ومنها:

- **القرآن الكريم**، فقد وصفه الله - تعالى - بأنه مبارك في أكثر من موضع كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]، فيشرع التبرك به قراءةً واستشفاءً وعلماً وعملاً.

- **الأنبياء والرسل** - صلوات الله وسلامه عليهم -، فهم جميعاً أشخاص مباركون، قال تعالى في إبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٣]، وقال في نوح عليه السلام: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود: ٤٨]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، وأفضل الرسل نبيِّنا محمد ﷺ فيشرع التبرك به بذاته وأفعاله وآثاره وسُنَّته.

- **المساجد**، فهي من الأمكنة المباركة، وأفضلها المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، فيشرع التبرك بها، وذلك بالصلاة فيها والعبادة والذكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

قال القرطبي: «جعله الله مباركاً لتَضَاعُف الخير فيه، فالبركة كثرة الخير»[٢].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

«والمراد بالبركة هنا: البركة الدنيوية؛ أي: جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم، وقيل: البركة الدينية لأنه مقر

(١) انظر: تفسير ابن عطية ٧/ ٧٧.
(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٨٩.

الأنبياء والصالحين ومهبط الملائكة»[١].

ـ **ليلة القدر**، فهي من الأزمنة المباركة؛ فيشرع التبرك بها بكثرة العبادة والدعاء والذكر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

قال القرطبي: «وصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب»[٢].

أقسام التبرك:

التبرك قسمان: مشروع وممنوع.

القسم الأول: التبرك المشروع، وهو التبرك بما دلت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على أن الله ـ تعالى ـ قد جعل فيه البركة، سواء كان صفة أو شخصاً أو مكاناً أو أزماناً، وقد تقدم آنفاً ذكر عدد من الأمور التي نصَّ القرآن الكريم على أنها مباركة.

القسم الثاني: التبرك الممنوع، وهو ما لم يرد دليل على مشروعيته، فمن ذلك التبرك بذوات الصالحين بتقبيلهم والتسمح بهم، أو بآثارهم، ومنه التبرك ببعض الأمكنة؛ كقبر النبي ﷺ، وقبور الأولياء والصالحين، وبعض الجبال والأشجار، وذلك بالصلاة عندها والتمسح بها، والعكوف فيها، وتقديم القربات لها[٣].

وهذا النوع منه ما هو شرك أكبر، كأن يرجو الإنسان ممن يتبرك به نفعاً على وجه الاستقلال، أو يعبده ملتمساً منه البركة، وهذا هو شرك قوم نوح الذين عكفوا عند صور صالحيهم راجين من ذلك البركة، فآل بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله كما تقدم، وهو أيضاً شرك العرب باللّات والعزّى ومناة، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩، ٢٠].

---

(١) التبرك أنواعه وأحكامه ص١٢٨. (٢) تفسير القرطبي ١٦/ ٨٤.

(٣) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه ص٣١٥ وما بعدها، والتبرك المشروع والممنوع ص٥١ وما بعدها.

وهذه الثلاثة: اللات، والعزى، ومناة أصنام كانت العرب تعبدها في الجاهلية، وخصها الله ﷻ بالذكر لأنها أعظم أصنامهم وأكبرها في ذلك الوقت، فصارت الفتنة بها أشد[١].

ومما يدل على أن التبرك الممنوع شرك بالله ـ تعالى ـ أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط[٢]، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى**: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **والذي نفسي بيده لتركبنّ سُنَّة من كان قبلكم**»[٣]، فقد أنكر النبي ﷺ في هذا الحديث على الصحابة الذين طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط، وشبّه فعلهم بفعل قوم موسى عليه السلام الذين قالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، وهذا يدل على أن التبرك نوع من العبادة.

وقد يكون التبرك شركاً أصغرَ وهو أن لا يرجو المتبرِّك النفع استقلالاً من المتبرَّك به، ولا يعبده، ولكن يرجو الخير وكثرة الأجر بمجاورته والتمسح به، والتعبد عنده؛ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر[٤].

ولقد انتشر هذا النوع من الشرك عند كثير من المسلمين، فأصبحوا لا همَّ لهم إلا التمسح بشيوخ البدعة وتقبيلهم والتقرب منهم، وقصد القبور والأحجار والآثار للصلاة عندها والدعاء والطواف، وإحياء المناسبات الإسلامية وإقامة الاحتفالات لها، وتخصيصها بالدعاء والعبادة والذكر، وغير ذلك من الأعمال المبُتدعَة.

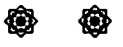

(١) انظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٩٠.

(٢) اسم لشجرة بعينها كان المشركون ينوطون بها سلاحهم؛ أي: يعلقونه. انظر: النهاية ٥/١٢٨.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦/ ٢٢٥ (ح٢١٨٩٧)، والترمذي ٤/ ٤١٣ (ح٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح.

(٤) انظر: الشرك الأصغر ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

المبحث الثاني

مظاهر الشرك العملية في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول

الشرك في الطاعة

إن من مظاهر الشرك وصوره المنتشرة الشرك في الطاعة والحكم والاتباع، ذلك أن الله ـ تعالى ـ هو المتفرد بالخلق، فينبغي أن يكون متفرداً بالأمر والنهي والحكم، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

والطاعة نوع من أنواع العبادة، فيجب أن تكون مختصةً بالله ـ تعالى ـ، والمقصود بالطاعة هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن صرف شيئاً منها لأحد من الخلق غير الرسول ﷺ فهو مشرك[1]، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

فقد بيَّن الله ـ تعالى ـ في هذه الآية أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ـ وهم العلماء والعباد ـ[2] أرباباً من دون الله، وحكم عليهم

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٤٠٩.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

بالشرك، مع أنهم لم يتقربوا إليهم بصوم ولا صلاة . . . ، وإنما أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، كما في حديث عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال عند هذه الآية: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه**»، وفي رواية قال: «قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم، فقال: **أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟** قال: قلت: بلى، قال: **فتلك عبادتهم**»[(١)].

وعن حذيفة ﷺ أنه سئل عن قوله: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أكانوا يعبدونهم؟ قال: «لا، كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حَرَّموه»[(٢)].

فهذه الآية دليل على أن طاعة غير الله في التحليل والتحريم والحكم والاحتكام شرك في الربوبية، لقوله: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾؛ لأن الطاعة بهذا الاعتبار من حقوق الربوبية.

كما أن في الآية دليلاً أن الطاعة شرك في الألوهية لقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

ومن الآيات الدالة على أن طاعة غير الله في التحليل والتحريم، والحكم والتشريع شرك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٥٩ (ح٣٠٩٥)، وابن جرير ٦/ ٣٥٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١١٦، وحسنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان ص٨٤، والألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٥٦ (ح٣٣٠٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/ ٣٥٤، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١١٦.

ففي هذه الآية يقرر الله ـ تعالى ـ أن طاعة الشياطين في تحليل ما حرمه، والاستجابة لوساوسهم المناقضة لشرعه شرك بالله تعالى.

ومن الآيات الواردة في هذا الباب أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١].

ففي هذه الآية ينكر الله ـ تعالى ـ على المشركين اتخاذهم آلهةً من دون الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله من الشرائع الباطلة، ويحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، ويصفهم بالشرك، ويتوعدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة[١].

وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن هذا اللون من الشرك، وأوجب إفراد الله ـ تعالى ـ بالحكم والطاعة، وذم المخالفين لأمره المتبعين لغير شرعه، والمحكِّمين والمتحاكمين إلى غير وحيه، ووصفهم بالصفات القبيحة، وتوعدهم بالذلة والشقاء في الدنيا، والعذاب الأليم يوم القيامة، ذكر ذلك بأساليب متنوعة منها:

١ ـ **جعل التحاكم إلى شرع الله شرطاً في الإيمان**، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

يقول ابن كثير عند هذه الآية: «فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسُّنَّة ولا يرجع إليهما فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر»[٢].

٢ ـ **الإخبار بأن التحاكم إلى غير الله من صفات المنافقين**، كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

(١) انظر: تفسير البغوي ٤/ ١٢٤، وتفسير السعدي ٦/ ٦٠٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٣١، وانظر: إعلام الموقعين ١/ ٤٩ ـ ٥٠.

أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦٢].

يقول محمد رشيد رضا: «والآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمداً ولا سيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقاً لا يعتد بما يزعمه من الإيمان، وما يدعيه من الإسلام»[(١)].

٣ ـ **وصف الذين يحكمون بغير شرع الله بالكفر والظلم والفسق**، وفي هذا تشنيع عليهم وترهيب لهم، وتنفير من فعلهم ـ ويأتي الكلام على حُكْم مَن حَكَم بغير شرع الله ـ وأما الآيات التي ورد تسميتهم فيها بالكفر والظلم والفسق فهي: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧][(٢)].

٤ ـ **الاستفهام الإنكاري**، كما قال ﷻ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، فالاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ، والمعنى: كيف يعرضون عن حكم الله ويطلبون حكم الجاهلية الفاسدة، مع أنه لا أحد أحسن حكماً من الله ـ تعالى ـ عند أهل اليقين والهدى[(٣)].

أقسام شرك الطاعة:

يمكن تقسيم شرك الطاعة إلى قسمين أساسيين، وإن كان كل واحد منهما فرعاً عن الآخر.

---

(١) تفسير المنار ٥/ ٢٢٧، وانظر: مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٣٩، إعلام الموقعين ١/ ٥٠.

(٢) انظر: أقوال العلماء في تفسير هذه الآيات في الحكم والتحاكم في خطاب الوحي ١/ ٢٥٣.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ٢/ ٧١.

القسم الأول: طاعة غير الله في التحريم والتحليل، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة، وقد تقدمت الأدلة على ذلك، ومنها آية التوبة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وقد فسرها النبي ﷺ بأنها الطاعة في التحريم والتحليل كما في حديث عدي بن حاتم المتقدم[١].

لكن إن أطاع الإنسان مخلوقاً في تحريم حلال أو تحليل حرام مع اعتقاده تحريم ذلك، وأنه لا يجوز له أن يتعدى حدود الله، وأن هذا المخلوق ليس له حق في التحريم والتحليل، وإنما أطاعه لشهوة في نفسه معترفاً أنه عاص لله في هذه الطاعة، فليس هذا من الشرك[٢].

القسم الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله، وهذا له أنواع منها ما يكون كفراً أكبر مخرجاً عن ملة الإسلام مثل أن يعتقد الحاكم بغير ما أنزل الله عدم وجوب حكم الله، أو أن حكمه أفضل من حكم الله تعالى، ومنها ما يكون كفراً أصغر لا يخرج عن الملة مثل أن يحكم بقضية معينة بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده وجوب الحكم بما أنزل الله، وأن حكمه في هذه القضية خطأ[٣].

والشرك في الطاعة له مظاهر كثيرة وصور مختلفة، قديماً وحديثاً، فمنها: طاعة أهل البدع والضلال فيما أحدثوه، وشرّعوه من الأمور المخالفة للكتاب والسُّنَّة.

ومن مظاهر الشرك في الطاعة: الحكم بغير ما أنزل الله كما تقدم، وقد انتشر هذا المظهر الخطير عند كثير من المسلمين، لا سيما في هذا الزمان، حيث نبذوا شرع الله، وحكّموا أهواءهم الفاسدة، والقوانين الوضعية الباطلة.

---

(١) انظر: ص١١٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٧٠، وانظر: القول المفيد ٢/ ٢٦٤.

(٣) انظر: تفصيل ذلك في رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم ص١٦ ـ ٢٤، وكتاب نواقض الإسلام القولية والعملية ص٣١١ وما بعدها، وضوابط التكفير عند أهل السُّنَّة والجماعة، لعبد الله القرني ص١٧٤.

المطلب الثاني

السحـر

ومن أنواع الشرك العَملية السِّحْرُ[١]، لقوله ﷺ: «**من عقد عُقدةً ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكل عليه**»[٢]، ووجه كونه شركاً: أنه لا يَتَأَتَّى في الغالب إلا بالشرك[٣].

قال النووي: «عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع... قد يكون كفراً، وقد لا يكون كفراً بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن ما يقتضي الكفرَ كَفَرَ وإلا فلا، وإذا لم يكن ما يقتضي الكفر عزِّر»[٤].

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ السحر في القرآن الكريم، فذمَّه وحذر منه، وتوعد أهله، أوضح ذلك بأساليب متنوعة، منها:

١ ـ الإخبار بأن الساحر كافر، كما قال ﷻ: ﴿وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ

---

(١) **السِّحْرُ لغة**: الأُخْذَة، وكل ما لَطُفَ مأخذه ودقَّ، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، ويطلق أيضاً على الخديعة، وحسن البيان. انظر: لسان العرب ٤/ ١٩٥١، ومختار الصحاح ص١٢٠.
وشرعاً: عرَّفه ابن قدامة في المغني بقوله: «هو عُقَد ورُقَى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله من غير مباشرة له» المغني ١٢/ ٢٩٩، وانظر: أضواء البيان ٤/ ٤٨٢.

(٢) أخرجه النسائي ٧/ ١١٢ (ح٤٠٤٩)، والطبراني في الأوسط ٢/ ١٣٧ (ح١٤٩٢)، واحتج به ابن كثير في تفسيره ١/ ١٤٩، وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٣٧٨.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ص١٨١، والقول السديد ص٩٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٧٦، وانظر: الإفصاح ٢/ ٢٢٦، والمغني ١٢/ ٣٠٠، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٣، وأحكام القرآن للجصاص ١/ ٦١، وأضواء البيان ٤/ ٤٩٤.

﴿اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٢، ١٠٣].

فقد دلَّت هاتان الآيتان على كفر الساحر من وجوه:

أ ـ قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ فيه تبرئة من الله ﷻ لنبيه سليمان عليه السلام من الكفر، مع أنه لم يتقدم في الآيات السابقة أن أحداً نسبه إلى الكفر، وإنما الوارد اتهامه بالسحر كما في بعض الآثار، فدل ذلك على أن السحر كفر[١].

ب ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أثبت ـ سبحانه ـ كفر الشياطين بسبب تعليمهم السحر[٢].

ج ـ بيَّن ﷻ في قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أن تعلم السحر كفر[٣].

د ـ حكم ـ تعالى ـ على من أحب السحر وآثره على وحيه واستبدله به بأنه ليس له في الآخرة من نصيب[٤].

هـ ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ دليل على أنهم بتعلمهم السحر كفروا؛ لأنه ـ تعالى ـ نفى عنهم الإيمان[٥].

٢ ـ ومن أساليب القرآن الكريم في التحذير من السحر: نَفْيُ الفلاح عن الساحر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

٣ ـ الأمر بالاستعاذة من السحر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفلق].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير ١/ ٤٩٣، وتفسير ابن عطية ١/ ٤٠٦.
(٢) انظر: تفسير القرطبي ٢/ ٣١، ومعارج القبول ١/ ٣٣٣.
(٣) انظر: تفسير القرطبي ٢/ ٣١، ومعارج القبول ١/ ٣٣٣.
(٤) انظر: تفسير ابن جرير ١/ ٥١٠، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٨.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٤٨.

والشاهد من هذه السورة قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾، فإن المراد بها الاستعاذة من شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يسحرن بها[١].

٤ ـ وصف السحر بالفساد والبطلان، كما قال ﷻ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس: ٨١]؛ أي: إن هذا الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر بعينه، ولكن الله ـ تعالى ـ سيمحقه ويذهبه؛ لأنه فساد في الأرض، والله ـ تعالى ـ لا يحب الفساد ولا يبقيه، بل يسحقه ويفنيه[٢].

أنواع السحر، وآثاره، وعلاجه:

السحر له أنواع متعددة، وصور متنوعة، قديماً وحديثاً، وليس هذا مقام تفصيلها[٣]، كما أن له آثاراً كثيرة، فمنه ما يَقْتُلُ، ومنه ما يَمْرِضُ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، ومنه ما يأخذ بالعقول، ومنه ما يأخذ بالأبصار[٤].

وأما علاجه المشروع فيكون باستخراجه وإبطاله، وبالرقية الشرعية، وذلك بالقراءة على المسحور بما ورد من الآيات القرآنية، والأذكار والأدعية النبوية[٥].

وقد انتشر السحر في كثير من بلاد المسلمين ـ مع الأسف الشديد ـ بسبب ضعف الإيمان في قلوب الناس، وبعدهم عن كتاب ربهم وسُنَّة نبيّهم ﷺ، وأخذ كثير ممن أصيبوا بالسحر يترددون على السحرة والدجاجلة والمشعوذين، ينشدون عندهم الشفاء ويسألونهم كشف ما حل بهم من البلوى.

(١) انظر: تفسير ابن جرير ١٢/ ٧٥٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ٦١٤، وفتح القدير ٥/ ٧٥٩.
(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٥٩٠، وفتح القدير ٢/ ٦٥١، والتفسير المنير ١٢/ ٢٤١.
(٣) انظر: تفسير الرازي ٤/ ١٨٧، وعالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص١٠٢ وما بعدها.
(٤) انظر: معارج القبول ١/ ٣٢٧.
(٥) انظر: زاد المعاد ٤/ ١٢٤.

المبحث الثالث

مظاهر الشرك القولية في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول

شرك الدعاء

الدعاء[١] له منزلة كبيرة، ومكانة عظيمة في دين الإسلام؛ فهو من أعظم أنواع العبادة، بل هو العبادة كلها[٢]، وهو الدِّين[٣]، ولذلك اعتنى القرآن الكريم بشأن الدعاء عناية كبيرة، وأولاه أهمية فريدة، حتى إنه أُفتتح بالدعاء واختتم به، حيث أُفتتح بسورة الفاتحة واختتم بسورة الناس المشتملتين على الدعاء[٤].

ولما كان الدعاء في دين الإسلام بهذه المنزلة كان صرفه لغير الله من أعظم أنواع الشرك وأخطرها وأشدها قبحاً، ولا غَرْوَ في ذلك فهو أصل شرك

---

(١) **الدعاء لغة**: السؤال والطلب، ويطلق أيضاً على العبادة، والنداء، والاستغاثة، وغيرها، انظر: لسان العرب ٣/ ١٣٨٥، وبصائر ذوي التمييز ٢/ ٦٠٠، والمفردات ٣١٥، **وشرعاً**: عرَّفه الخطابي بقوله: «معنى الدعاء: استدعاء العبد ربه ﷻ العناية به، واستمداده إياه المعونة» شأن الدعاء ص٤.

(٢) كما في قوله ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، أخرجه أحمد ٣٠/ ٢٩٧ (ح١٨٣٥)، وأبو داود ٢/ ١٦١ (ح١٤٧٩)، والترمذي ٥/ ٤٢٦ (ح٣٣٧٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه ٢/ ١٢٥٨ (ح٣٨٢٨).

(٣) كما سماه الله ـ تعالى ـ في القرآن في غير ما آية، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]؛ أي: مخلصين له الدعاء. انظر: زاد المسير ٦/ ١٣٩.

(٤) انظر: الفتاوى ١٦/ ٤٧٨.

العالم[١]، وهو أكثر أنواع الشرك شيوعاً وانتشاراً بين الناس في كل زمان ومكان.

وقد وَردتْ آيات عديدة تدلُّ على أن دعاء غير الله شرك، ومنها: قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

ففي هاتين الآيتين يأمر الله ـ تعالى ـ رسوله ﷺ أن يقول للمشركين المعاندين أخبروني عن حالكم حينما ينزل بكم عذاب الله الذي حل بالأمم السابقة، أو تأتيكم القيامة بأهوالها وخزيها ونكالها في هذه الحالة هل تدعون أصنامكم الباطلة أم تدعون الله والواحد القهار؟ لا شك أنكم في مثل هذه الأحوال العصيبة ستخلصون الدعاء لله ـ تعالى ـ وتنسون ما كنتم تدعونه في وقت الرخاء من الأنداد والشركاء، فما الذي يحملكم على الشرك في وقت الرخاء إذا كنتم تعلمون أن من تشركون به لا يملك لكم نفعاً وقتَ الحاجة إليه، هل عندكم برهان على ذلك أم هو الكفر والضلال؟[٢].

ومن الآيات الواردة في هذا الباب أيضاً قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

وهاتان الآيتان بمعنى الآيتين السابقتين، حيث يذكر الله ـ تعالى ـ فيهما حال المشركين وأنهم في حال الشدة يخلصون الدعاء لله، وفي حال الرخاء والأمن والسلامة يعودون إلى ما كانوا عليه من الشرك وذلك بدعائهم غير الله.

ومما يدل على أن صرف الدعاء لغير الله شرك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤].

---

(١) انظر: مدارج السالكين ١/ ٣٧٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٣٧، والسعدي ٢/ ٣٩٨، والتفسير المنير ٧/ ١٩٩.

ففي هاتين الآيتين تقرير لما سبق بيانه في الآيات المتقدمة حيث يخبر الله ـ تعالى ـ فيهما أنه هو المتفضل بالنعم جميعها ظاهرها وباطنها، وأن أهل الشرك حينما ينزل بهم الكرب ويشتد عليهم الأمر، ويحل بهم البلاء يبادرون إلى الالتجاء إلى الله وحده، ويفردونه بالدعاء والتضرع والرغبة لعلمهم أنه لا يقدر على كشف الضر عنهم غيره ـ سبحانه ـ، فإذا أنجاهم من الشدة وكشف ما بهم من الضر عادوا إلى الشرك فدعوا غيره، والتجؤوا إلى من سواه[١].

أقسام الدعاء في القرآن الكريم:

ينقسم الدعاء ـ باعتبار معناه[٢] ـ في القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: دعاء المسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه[٣]، وتقدم بيان ما قاله العلماء في معناه وحقيقته في أول هذا المبحث.

الثاني: دعاء العبادة: وهو امتثال أمر الله ﷻ واجتناب نهيه، والتعبد له بأنواع العبادات، ووجه كون هذا دعاءً؛ أن العابد إنما يريد بعبادته الفوز بمرضاة الله وجنته، والنجاة من عقوبته وناره، فهو في الحقيقة سائل وإن لم يأت بلفظ السؤال[٤].

ونوعا الدعاء متلازمان؛ يدل أحدهما على الآخر، فإذا أريد المسألة والطلب دل على العبادة بطريق التضمن[٥]؛ لأن الدعاء نفسه عبادة لما يشتمل عليه من الرغبة والتضرع والذل لله.

وإذا أريد به دعاء العبادة فإنه يدل على دعاء المسألة بطريق الالتزام[٦]؛

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ٤٢، وابن كثير ٢/ ٥٩٣، والسعدي ٤/ ٤١٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٠، وبدائع الفوائد ٣/ ٣.

(٣) وينقسم إلى تقسيمات أخرى باعتبارات أخرى، انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ١/ ١٠٥.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٣٧، وبدائع الفوائد ٣/ ٣، والشرك الأكبر ١/ ٢٦٢.

(٥) **دلالة التضمن:** هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له، إرشاد الفحول للشوكاني ص١٧.

(٦) **دلالة الالتزام:** هي دلالة اللفظ على أمر خارج عما وضع له، انظر: المرجع السابق.

لأن العابد لله ﷻ هو في الحقيقة سائل وإن لم يأت بلفظ السؤال فهو يسأل الله الفوز بالجنة والنجاة من النار؛ لأنه إنما يعبد الله خوفاً من عقابه ورجاءً لثوابه[١].

وقد ورد إطلاق الدعاء في القرآن على ثلاثة أوجه: دعاء المسألة، ودعاء العبادة، وعلى مجموعهما[٢].

فمن الآيات الواردة في إطلاقه على دعاء المسألة ما يلي:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢].

فالمراد بالدعاء في هذه الآيتين وأمثالهما دعاء المسألة، كما هو ظاهر من حال الداعي.

ومن الآيات الواردة في إطلاقه على دعاء العبادة:

١ ـ قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٦].

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩].

فالمراد بالدعاء في اللفظة الأولى دعاء العبادة، ومما يؤكد ذلك، التعبير عنه بلفظ العبادة في نفس السياق.

ومن الآيات الواردة في إطلاقه على مجموع الأمرين:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٥/ ١٠ ـ ١١، بدائع الفوائد ٣/ ٤، الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ١/ ١١٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٠، انظر: بدائع الفوائد ٣/ ٣.

فقد فُسِّرَتْ هذه الآية بنوعي الدعاء؛ دعاء العبادة، ودعاء المسألة[١].

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠][٢].

ولقد نهى القرآن الكريم عن دعاء غير الله وحذر منه، وذم أصحابه وتوعدهم، أوضح ذلك بأساليب متنوعة منها:

١ ـ **النهي الصريح**، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

وفي توجيه النهي للنبي ﷺ مع أنه أكمل الخلق إيماناً وأبعدهم من الوقوع فيه، بل هو المعصوم منه، تنبيه على قبح الشرك وشناعته وعظم جرمه.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وقوله: ﴿أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ نكرة في سياق النهي فتعم كل أحد كائناً من كان.

٢ ـ **بيان عجز المدعوِّين من دون الله عن إجابة من دعاهم**، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].

ففي هاتين الآيتين يبيّن الله ـ تعالى ـ حال المدعوين من دونه، وأنهم لا يستطيعون نفع من دعاهم، ولا كشف الضر عنه أو دفعه، وما دام أنهم بهذه الحال فماذا يرجى من دعائهم والاستغاثة بهم؟.

٣ ـ **الاستفهام الإنكاري**، كما قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢/ ١٦٤ ـ ١٦٧، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٠١.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ١٠٣.

وفيها وَصفُ دعاء غير الله ـ تعالى ـ بأنه غاية في الضلال والبعد عن الهدى.

٤ ـ **وصفُ من دعا غير الله بالظلم**، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، فدعاء غير الله ظلم للنفس عظيم[(١)].

٥ ـ **تَوَعد من دعا غير الله بالعذاب يوم القيامة**، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ففي هاتين الآيتين وعيد شديد لمن «دعا مع الله آلهة غيره بلا بيّنة من أمره، ولا برهان على ذلك، يدل على ما ذهب إليه، وهذا فيه تلازم، فكل من دعا غير الله فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلماً وعناداً»[(٢)].

والمراد بالدعاء الشركي الذي يحكم على صاحبه بالكفر والخروج عن ملة الإسلام هو: دعاء الميت، أو الغائب، أو الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، من مغفرة الذنوب وتفريج الكروب، وجلب النعم، ودفع النقم، ونحو ذلك من الأمور التي ليست في مقدرو البشر، فهذا كفر بإجماع المسلمين[(٣)].

ومما يؤسف له جدّاً انتشار هذا النوع من الشرك بين المسلمين انتشاراً كبيراً، لا سيما في هذه الأزمنة المتأخرة، فمنهم من يدعو النبي ﷺ ويسأله، ومنهم من يدعو آل البيت، ومنهم من يدعو الأولياء والصالحين، ومنهم من يدعو الأموات والغائبين، حتى رفعوهم إلى مقام الألوهية ونسبوا إليهم بعض خصائص الربوبية[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٦/٦١٨. (٢) تفسير السعدي ٥/٣٨٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١/١٢٤، ١/٣٥٠، وتيسير العزيز الحميد ص١٦٠ وما بعدها، والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٢/٤٨٣ وما بعدها، والشرك الأكبر ص٢٦٨.

(٤) انظر: الرد على البكري ص٣٠٢ ـ ٣٤٩، والدر النضيد ص٢٨، وتفسير الألوسي ١١/٩٨، =

المطلب الثاني

نسبة النعم إلى غير الله

إن من رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده تَفَضُّلُهُ عليهم بالنعم الكثيرة الظاهرة والباطنة، حيث أنزل عليهم الخيرات، وأخرج لهم من كل الثمرات، وجعل لهم مما خلق ما يسترهم ويؤويهم من بيوت وملبوسات، وسخر لهم جميع ما في الأرض والسمٰوات، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

ولذلك يجب على الإنسان أن يضيف ما يأتيه من النعم إلى مسديها، ومُوليها، والمتفضل بها، ومعطيها، وهو الله وحده، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فإن ذلك من تمام شكرها.

ومن أنواع الشرك الخفية[١] التي يقع فيها كثير من الناس إضافة النعم إلى غير الله ـ تعالى ـ ولذلك ورد النهي عن نسبة النعم إلى غير الله تعالى في القرآن الكريم بأساليب متعددة منها:

١ ـ ذمُّ المشركين الذين ينسبون نعم الله ﷻ عليهم إلى غيره، كما قال ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال القرطبي عند هذه الآية: «وقيل معناها: أنهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ونحو هذا؛ فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب»[٢].

= وتفسير المنار ٥/ ٤٢١، والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٢/ ٥١٧ وما بعدها.

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٤٣٨.

(٢) تفسير القرطبي ٩/ ١٧٩.

وكما ذمَّ الله ـ تعالى ـ من ينسب نِعَم الله عليه إلى غيره من الخلق فقد ذمَّ من ينسبها إلى نفسه، وتوعده بالانتقام وزوال النعم عنه في الدنيا، والعذاب يوم القيامة، مبيّناً ـ سبحانه ـ أن هذا هو مصير من قال بهذه المقولة الفاسدة، وافترى هذه الفرية الباطلة، من طغاة الأمم السابقة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الزمر: ٤٩ ـ ٥١].

ففي هذه الآيات يخبر الله ﷻ عن حال الإنسان في الضراء والسراء؛ فهو حين يصاب بمضرة من فقر أو مرض، أو شدة يلجأ إلى الله ﷻ وحده ويدعوه.

وحين ينعم الله ﷻ عليه ويعطيه من فضله يبغي ويجحد نعمة الله، ويدّعي أنه إنما أوتيها لعلم الله ـ تعالى ـ بأنه مستحق لها وأهل، ثم بيّن ـ سبحانه ـ أن ذلك إنما هو ابتلاء واختبار يختبر الله به عباده ليعلم الشاكر من الكافر، ولكن كثيراً من الناس يجهلون هذه الحكمة العظيمة، حيث يزعمون أن ما يصيبهم من النعم إنما هو لفضلهم ومنزلتهم عند الله.

ثم يبيِّن ﷻ أن هذه المقولة الفاسدة قد نطقت بها أمم ماضية فأهلكهم الله ـ تعالى ـ، ولم تنفعهم أموالهم وما كسبوه في هذه الدنيا، ولم ينجهم من عذاب الله.

ثم يتوعد ﷻ من يسلك طريقهم، ويعمل بعملهم من هذه الأمة مبيناً أن مصيره سيكون مثل مصير تلك الأمم، فإن الله ﷻ لا يعجزه شيء[1].

٢ ـ النهي عن نسبة النعم إلى غير الله ـ تعالى ـ، كما قال ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٦٢، وتفسير السعدي ٦/ ٤٨٢.

قال ابن عباس ﷺ عند هذه الآية: «الأنداد[١]: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة[٢] سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوصُ البارحةَ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص...»[٣].

ففي هذا الأثر عدَّ ﷺ نسبةَ النِّعم إلى غير الله شركاً؛ فإن قول الرجل: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ونحو ذلك، من إضافة النعم إلى غير الله؛ لأنه ﷻ هو الحافظ، من جميع الآفات، وأما قول الإنسان: لولا الله ثم فلان فهو جائز[٤].

٣ ـ القصص القرآني، ومن ذلك ما ذكره الله ﷻ عن قارون حينما طغى وبغى واغتر بكنوزه وأمواله وجنوده، ولم يسمع لنصح قومه، وينتفع بموعظتهم، بل ادّعى كاذباً أن هذه الأموال والكنوز التي بيده إنما حصل عليها بعلمه وذكائه وخبرته ومعرفته بوجوه المكاسب[٥]، فكانت عاقبته ومآله أن خسف الله به وبداره الأرض، فكان في أسفل سافلين، فما منع نفسه وانتصر لها، وما كان له من دون الله من قوة ولا ناصر، كما حكى الله ـ تعالى ـ قصته في سورة القصص بقوله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ

---

(١) **الأنداد**: جمع نِدّ، وهو المثيل والنظير، انظر: مختار الصحاح ص٢٧٢.

(٢) **الصَّفاة**: الصخرة الملساء، مختار الصحاح ص١٥٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ١/ ٦٢، وإسناده جيد، تيسير العزيز الحميد ص٤٤٢.

(٤) انظر: فتح المجيد ص٣٤٩.

(٥) وقيل: المراد بقوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ على فضل علم عندي علمه الله فيَّ فرضي بذلك عني، وفضلني. انظر: تفسير ابن جرير ١٠/ ١٠٧، وزاد المسير ٦/ ١١٣.

﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٧٦ ـ ٨١].

أقسام نسبة النِّعم إلى غير الله:

نسبة النِّعم إلى غير الله ـ تعالى ـ لها ثلاثة أقسام:

الأول: أن يضيفها إلى السبب نفسه، مع عدم الاعتقاد بأنها من الله ﷻ، فهذا شرك أكبر.

الثاني: أن يضيفها إلى سبب صحيح ظاهر، مع اعتقاده بأنها من الله، فهذا شرك أصغر.

الثالث: أن يضيفها إلى سبب صحيح ثابت ظاهر على وجه الإخبار، مع اطمئنان قلبه بأن المنعم الحقيقي هو الله ـ تعالى ـ، واستحضاره لذلك، فهذا جائز[1].

ونسبة النِّعم إلى غير الله لها صور متعددة تجري على ألسنة كثير من الناس، يتلفظون بها متساهلين بشأنها غير مدركين لخطورتها، وقد سبق ذكر بعض الأمثلة في ثنايا بعض الآثار الواردة في تفسير الآيات، ومن ذلك قول بعضهم: لو لم أبادر إلى الطبيب لاشتد بي المرض، ولولا مهارة قائد الطائرة أو السيارة أو السفينة لهلك الركاب، ولولا اشتغالي بتلك التجارة ما اغتنيت، ونحو ذلك من الألفاظ.

---

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب ص٨٥، ورسالة الشرك الأصغر ص١٨٦، والقول المفيد ٢/٣١٣.

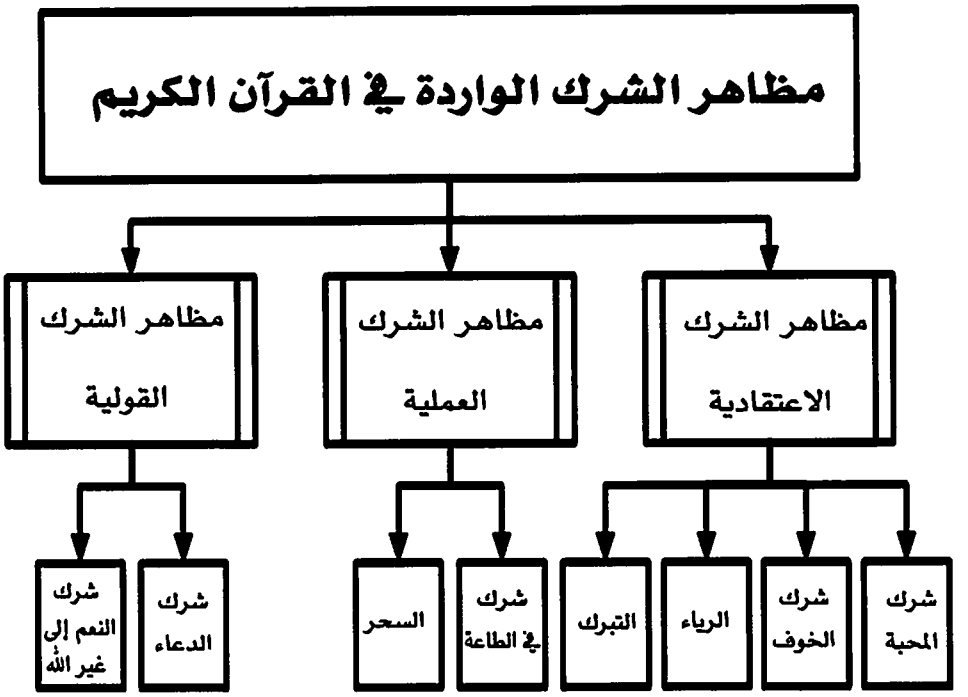
مظاهر الشرك الواردة في القرآن الكريم
مظاهر الشرك الاعتقادية
مظاهر الشرك العملية
مظاهر الشرك القولية
شرك المحبة
شرك الخوف
الرياء
التبرك
شرك في الطاعة
السحر
شرك الدعاء
شرك النعم إلى غير الله

الفصل الثالث

آثار الشرك في ضوء القرآن الكريم

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الشرك أعظم الذنب وأظلم الظلم.

المبحث الثاني: الشرك يهدر الدم والمال.

المبحث الثالث: الشرك محبط لجميع الأعمال.

المبحث الرابع: تحريم الجنة على المشرك وخلوده في النار.

المبحث الأول

الشرك أعظم الذنب وأظلم الظلم

إن أعظم الذنوب عند الله ﷻ، وأظلم الظلم[١]، وأنكر المنكرات، وأكبر الكبائر الشرك بالله ﷻ؛ ذلك أنه هضم لحق الربوبية، واعتداء في حق الألوهية، وسوء ظن بالله ﷻ وجحود لنعمه، وإنكار لحقوقه، حيث يُسَوَّى المخلوقُ الضعيف العاجز الفقير، بالإلٰه القدير الغني الحميد.

وقد وصف الله ـ تعالى ـ الشرك في القرآن الكريم بأنه ظلم عظيم، وأخبر بأنه سوء ظن به ـ سبحانه ـ، وحينما سئل النبي ﷺ عن أعظم الذنب أخبر بأنه الشرك[٢].

ومن الآيات التي وصف الله ـ تعالى ـ فيها الشرك بأنه ظلم عظيم قوله ـ تعالى ـ حكايةً عن لقمان الحكيم[٣] في أول وصية من وصاياه الوعظية لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

فإن الله ـ تعالى ـ لما ذكر مِنَّته على عبده لقمان بالحكمة أخبر عن

---

(١) قال الراغب الأصفهاني: «الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما ينقصان أو بزيادة، أو بعدول عن وقته أو مكانه» المفردات ص٥٣٧.

(٢) كما في حديث ابن مسعود قال: «قلت: يا رسول الله أيّ الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله نداً وهو خلقك**». صحيح البخاري ١٠/ ٤٣٣ (ح٦٠٠١)، وصحيح مسلم ١/ ٩١ (ح١٤٢).

(٣) وقد اختلف المفسرون في لقمان هل كان نبيّاً أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ والأكثرون على الثاني، انظر: تفسير ابن جرير ١٠/ ٢٠١، ٢٠٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٢، والدر المنثور ١١/ ٦٢٧.

وصاياه الحكيمة لابنه، والتي ابتدأها بالنهي عن الشرك مبيناً ومعللاً هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم، وإنها والله لوصية عظيمة، وموعظة غير متهمة تصدر من أبٍ شفيق، ناصح، ودود لابنه وفَلَذة[١] كبده، وأحب الناس إليه، فما أجدرها بالقبول والامتثال، وما أحراها بالاستماع والإقبال[٢].

وافتتاحه لهذه الموعظة بحرف النداء مع أن توجيه الخطاب إليه مغنٍ عن ندائه لحضوره، تنبيه على الاهتمام بالغرض المسوق له الكلام، فإنه يستدعي حضور الذهن.

ومخاطبته لابنه بلفظ التصغير ﴿بُنَيَّ﴾ كناية عن الشفقة به، والتحبب إليه، وهو في هذا المقام يفيد الحث على امتثال هذه الوصايا؛ لأنها صادرة من أبٍ شفيق ناصح محب للخير[٣].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[٤].

قال ابن جرير عند آية الأنعام: «الذين صَدَقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه، وتصديقهم له بظلم؛ يعني: بشرك، ولم يشركوا في عبادته شيئاً، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصاً أحق بالأمن من عقابه»[٥].

والشرك بالله ـ تعالى ـ ظلم في حق الله ﷻ وظلم للنفس، وظلم لمن أُشرك به من الخلق.

فأما كونه ظلماً في حق الله ﷻ فلأن أعظم حقوق الله ﷻ على عباده

---

(١) **الفَلَذة**: القطعة. انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٧٠٠.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٣، وتفسير السعدي ٦/ ١٥٥.
(٣) انظر: التحرير والتنوير ٢١/ ١٥٣، ١٥٤.
(٤) أخرجه البخاري ٦/ ٤٦٥ (ح٣٤٢٩)، ومسلم ١/ ١١٤ (ح١٩٧).
(٥) تفسير ابن جرير ٥/ ٢٥٠.

هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً فالعبادة بجميع أنواعها حق الله ﷻ وحده، فهو الخالق الرازق المالك المدبِّر الغني الحميد، وصرفها لغيره وضع لها في غير محلها اللائق بها فهو ظلم.

وأما كونه ظلماً للنفس فلأنه إذلال لها وإخضاع لمخلوق ضعيف لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً، وخروج بها عن الفطرة السليمة التي فطرها الله عليها والتي هي توحيد الله ﷻ والاستسلام له وحده دونما سواه، وظلم للنفس أيضاً لأنه حرمان لها من منافع التوحيد وثمراته العظيمة اليانعة في الدنيا والآخرة.

وأما كونه ظلماً لمن أُشرك به من الخلق، فلأنه غلو فيهم، ورفع لهم إلى منزلة لا تليق بهم، وإيذاء لهم في الدنيا، وعذاب لمن رضي بذلك منهم في الآخرة، ولذلك أخبر الله ﷻ أن هذه الآلهة التي اتخذها المشركون في الدنيا يتبرؤون من عابديهم يوم القيامة وينكرون صنيعهم، وينبذون شركهم، كما قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨][1].

ومن الآيات التي وصف الله ـ تعالى ـ بها الشرك بأنه ظلم ما حكاه ﷻ عن الفتية من أصحاب الكهف أنهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ [الكهف: ١٥].

ففي هذه الآية يخبر الله ﷻ عن الفتية من أصحاب الكهف أنهم عابوا على قومهم اتخاذهم الآلهة التي يعبدونها من دون الله، وأنكروا فعلهم، وبيّنوا أنه ليس لهم برهان ولا حجة على ما ذهبوا إليه من الشرك، بل هو الجهل

---

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/ ٢٣٢، ورسالة الشرك وأنواعه لجفري أفندي وهاب ص٣٥٥.

والضلال، ثم ختم الآية بالاستفهام الإنكاري ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[١].

وكما وصف الله ـ تعالى ـ الشرك بأنه ظلم فقد وصف المشركين بأنهم ظالمون، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

ففي هذه الآية ينهى الله ﷻ رسوله ﷺ أن يدعو غيره من المخلوقات التي لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضرّاً في الدنيا والآخرة، ثم يبيّن له ـ سبحانه ـ أنه إن فعل ذلك[٢] فإنه يكون حينئذٍ من الظالمين لأنفسهم ولغيرهم[٣].

وكما وصف الله ـ تعالى ـ الشرك بالظلم فقد أخبر بأنه سوء ظن به ـ سبحانه ـ، كما قال ـ تعالى ـ حكايةً عن نبيِّه إبراهيم عليه السلام: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٦، ٨٧].

قال ابن القيم عند هذه الآية: «أي: فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظننتم به حتى جعلتم معه شركاء؟...»[٤].

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٨/ ١٨٩، وتفسير ابن كثير ٣/ ٧٩، وتفسير السعدي ٥/ ١٥.

(٢) وحاشاه ﷺ من ذلك فهو المعصوم، ولكن المقصود تنبيه الناس على فظاعة الشرك بحيث أنه لو فعله أفضل الخلق كان من الظالمين، انظر: التحرير والتنوير ١١/ ٣٠٥.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٦١٨، وتفسير السعدي ٣/ ٣٩٦.

(٤) مدارج السالكين ٣/ ٣٦٤، وانظر: تفسير ابن جرير ١٠/ ٥٠٠.

المبحث الثاني

الشرك يهدر الدم والمال

إن الإنسان الذي كرّمه الله ـ تعالى ـ وشرّفه، وسخَّر له ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً، وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، لا قيمةَ له ولا منزلةَ إلا بالتوحيد والإيمان؛ لأنه إنما خلق لعبادة الله وحده دونما سواه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا لم يقم بهذه المهمة التي خلق من أجلها فإنه حينئذٍ لا قيمة له ولا قدْرَ ولا فضل، ولذلك أباح الله ﷻ دماء المشركين وأموالهم، وأمر بقتلهم وجهادهم، حتى يؤمنوا بالله وحده، ويَدَعوا الشرك وعبادة الأوثان[1]، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: ٥].

وهذه هي آية السيف التي أمر الله ـ تعالى ـ فيها بقتل المشركين، وأسرهم، وحصارهم، والتضييق عليهم، ومراقبتهم، وملاحقتهم في كل طريق ومنفذ، وذلك بعد انقضاء أشهر التسيير الأربعة التي حرم الله ـ تعالى ـ فيها قتال المشركين المعاهدين وقت نزول الآية، فيجب على المسلمين أن يبذلوا غاية مجهودهم في ذلك، ويستمروا في جهاد المشركين حتى يتوبوا إلى الله، ويدعوا الشرك وعبادة الأوثان، ويعبدوا الله وحده، ويلتزموا بشرائع الإسلام[2].

---

(١) وقد اختلف العلماء في المشركين هل تؤخذ منهم الجزية، أو ليس لهم إلا الإسلام أو السيف، والأرجح والله أعلم أنها تؤخذ منهم إذا بذلوها ويُكفُّ عن قتالهم. انظر: زاد المعاد ٣/ ١٥٣.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٣١٩، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٩، وتفسير السعدي ٣/ ٢٠٠.

ويقول ﷻ آمراً عباده المؤمنين بقتال المشركين حتى لا يبقى الشرك، ولا يعبد إلا الله وحده: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقال ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

ففي هاتين الآيتين يأمر الله ﷻ بقتال المشركين ثم يذكر المقصود من هذا القتال بقوله: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: شرك[١]، فالحكمة من قتال المشركين هي أن يُزال الشرك من الأرض، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، وليس المقصودُ سفكَ دماء المشركين وأخذ أموالهم، ولذلك إذا تاب المشركون عن الشرك وانتهوا عن مقاتلة المسلمين وأخلصوا العبادة لله وحده، فإنه لا يجوز قَتْلُهم ولا قتالهم، ولا تحل دماؤهم ولا أموالهم[٢].

وقد دلَّت السُّنَّة أيضاً على أن المشرك غير معصوم الدم والمال، قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»[٣].

والمقصود: المشركون المحاربون، أما من كان له عهد أو ذمّة، فهو معصوم الدم والمال ما دام ملتزماً بعهده وذمته، كما قال ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة: ٤][٤]، ولا يخفى أن حِلَّ

---

(١) روي ذلك عن جمع من السلف. انظر: تفسير ابن جرير ٢/ ٢٠٠.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٢/ ٢٠٠، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٣٤، وتفسير السعدي ١/ ٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ١/ ٧٥ (ح٢٥)، ومسلم ١/ ٥٣ ح(٢٢)، وقوله: «عصموا»؛ أي: منعوا.

وقوله: «وحسابهم على الله»؛ أي: في أمر سرائرهم. فتح الباري ١/ ٧٤.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٨.

دماء الكفار المحاربين وأموالهم له شروط وضوابط، وأن الحكم العام بحلِّ دم المشرك وماله لا يلزم منه استحلال دم المُعيَّن، بل قد يوجد لذلك موانع، أو يترتب عليه مفاسد، فالحكم في ذلك منوط بأهل العلم الراسخين.

وقد حصلَ بسبب إهمال هذه الضوابط مفاسد عظيمة، حيث استبيحت أموال ودماء معصومة، نسأل الله العافية.

المبحث الثالث

الشرك محبط لجميع الأعمال

ومن آثار الشرك[١] الأُخروية العظيمة أنه يحبط جميع الأعمال الصالحة ويفسدها، فالمشرك مهما عمل من عمل فإنه لا قيمة لعمله ولا وزن في الدار الآخرة، وإنما يعجَّل له أجره في الحياة الدنيا، حتى إذا صار إلى الآخرة لم يكن له عمل يجزى به.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على بطلان أعمال المشركين وذهابها، فمن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

ففي هذه الآية يخبر ﷻ أن الهدى الذي اهتدى به من ذكر من الأنبياء في الآيات التي تقدمتها[٢] إنما حصل لهم بتوفيقه ولطفه، فهو الذي يوفق من شاء من عباده للتوحيد والإخلاص وترك الشرك والأوثان، ثم يبيّن ﷻ أنه لو فُرض أن هؤلاء الرسل المذكورين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ أشركوا بالله ﷻ لأبطل أعمالهم؛ لأنه لا يقبل من مشرك عملاً، وفي هذا تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه، فإنه إذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار من الرسل لو أشركوا لحبطت أعمالهم فكيف بغيرهم، وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع[٣].

ومثل هذه الآية قوله ـ تعالى ـ في سورة الزمر: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى

---

(١) والمقصود هنا: الشرك الأكبر، أما الشرك الأصغر فإنه لا يحبط إلا العمل الذي قارنه كما تقدم في التمهيد.

(٢) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ...﴾ الآيات [الأنعام: ٨٣].

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٥/ ٢٥٩، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٦٠، وتفسير السعدي ٢/ ٤٣٠.

ﵟٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ﵞ [الزُّمَر: ٦٥].

ففي هذه الآية يخبر ﷻ خبراً مؤكداً أنه أوحى إلى نبيِّه محمد ﷺ وإلى جميع الأنبياء قبله أن الشرك محبط لجميع الأعمال، موجب للهلاك والخسران[1]، حتى ولو حصل من رسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، «وهذا على سبيل الفرض، والمراد تهييج الرسل، وإقناط الكفرة، وتنبيه الأمة، وأفرد الخطاب باعتبار كل واحد، واللام الأولى موطئة للقسم، والأخيرتان للجواب، وعطف الخسران على إحباط الأعمال من عطف المسبب على السبب»[2].

وقد أخبر الله ﷻ أن عمارة المساجد والتي هي من أفضل الأعمال لا تنبغي للمشركين ولا تليق بهم؛ لأن المشرك لا تقبل منه قُربة، ولا تنفعه طاعة، بل أعماله كلها باطلة مردودة، وهو مخلَّد في النار[3]، كما قال ﷻ: ﵟمَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ﵞ [التوبة: ١٧].

وحينما يجمع الله ـ تعالى ـ الأولين والآخرين على صعيد واحد يوم القيامة ليقضي بينهم بحكمه، ويجازيهم بأعمالهم، يؤمِّل المشركون في أعمال عملوها في الدنيا ويرجون ثوابها في ذلك اليوم العصيب، ولكنها تذهب وتبطل حينما تعرض على الحكم العدل ﷻ فلا ينالون بها أجراً، ولا يجدون لها نفعاً، وذلك لأنها لم تصدر من مؤمن موحد، ولم يُبتغ بها وجه الله والدار الآخرة[4]، كما قال ـ تعالى ـ: ﵟوَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ﵞ [الفرقان: ٢٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير ١١/ ٢٣، وتفسير السعدي ٦/ ٤٩١.

(٢) التفسير المنير ٢٤/ ٤٦، وانظر: تفسير أبي السعود ٧/ ٢٦٢.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٣٣٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٣، وتفسير السعدي ٣/ ٢٠٩.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير ٩/ ٣٨٠، والقرطبي ٣/ ١٦، وابن كثير ٣/ ٣٢٦، والسعدي ٥/ ٤٧٢.

وقد دلَّت السُّنَّة أيضاً على بطلان عمل المشرك وعدم انتفاعه به في الآخرة، كما قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[١].

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٨٩ (ح٢٩٨٥)، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٥٠.

المبحث الرابع

تحريم الجنة على المشرك وخلوده في النار

ومن آثار الشرك الأخروية العظيمة كذلك الحرمان من دخول الجنة، والخلود الأبدي في نار جهنم[١].

وقد ورد في القرآن آيات كثيرة تدل على أن المشرك ممنوع من دخول الجنة، محكوم عليه بالنار إن لم يتب من الشرك، ويمت على التوحيد والإسلام، فمنها قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ففي هذه الآية الكريمة يبيّن ﷻ حكمَ المشرك ومآله الذي يصير إليه في الآخرة، وهو الحرمان من دخول الجنة والخلود في نار جهنم وبئس القرار، وليس له في ذلك اليوم من أعوان ينقذونه من عذاب الله أو أنصار[٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البيِّنة: ٦].

ففي هذه الآية يخبر الله ـ تعالى ـ عن مآل الكفار من المشركين وأهل الكتاب، وأنهم في نار جهنم ماكثون لا يخرجون منها ولا يزولون عنها، ولا يموتون فيها، فهم شرُّ البريَّة[٣]، وأشقى البشرية[٤].

---

(١) والمقصود هنا: الشرك الأكبر، أما الشرك الأصغر فإنه لا يوجب الخلود في النار، ولا يمنع من دخول الجنة كما تقدم في التمهيد.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٤/ ٦٥٢، وتفسير ابن كثير ٢/ ٨٤، وتفسير السعدي ٢/ ٢٤.

(٣) **البريَّة**: هم من برأه الله؛ أي: خلقه. انظر: القاموس المحيط ١/ ٦، وتفسير ابن جرير ١٢/ ٦٥٧.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير ١٢/ ٦٥٧، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٧٥، وتفسير السعدي ٧/ ٦٥٨.

وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وفي هذه الآية ينهى الله ـ سبحانه ـ رسوله ﷺ وأمته له أسوة، عن الإشراك بالله، متوعداً من فعل ذلك بالعذاب الأليم الدائم[١].

ولما لم يستطع رسول الله ﷺ هداية عمه أبي طالب إلى الإسلام، عزم على الدعاء له مكافأة له على ما قدمه له من رعاية وحماية، فنهاه الله عن ذلك، مبيناً أن الاستغفار للمشركين الذين ماتوا على شركهم أمر لا يليق بالنبي والمؤمنين به، حتى ولو كان هؤلاء المشركون ذوي قربى، وذلك بعدما تبيّن لهم أنهم من أصحاب النار، وأنها قد وجبت لهم واستحقوها بسبب شركهم، فلا ينفعهم حينئذٍ استغفار المستغفرين ولا شفاعة الشافعين[٢]، كما قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

وقد ورد في نزول هذه الآية أنه «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]»[٣].

وقد أخبر الله ـ سبحانه ـ أن المشركين ومعبوداتهم من الأوثان والأصنام

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٨/ ٨٣، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٢، وتفسير السعدي ٥/ ٥٥١.
(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٤٨٧، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤١٠، وتفسير السعدي ٣/ ٣٠٥.
(٣) صحيح البخاري ٨/ ٥٠٦ (ح٤٧٧٢)، وصحيح مسلم ١/ ٥٤ (ح٢٤).

وقود جهنم الذي توقد به يوم القيامة خالدون فيها مخلدون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩][(١)].

والشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه[(٢)]، فإذا مات المشرك على شركه فإنه ليس أهلاً لمغفرة الله ورحمته التي يتفضل بها ـ سبحانه ـ على عباده الموحدين، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

ففي هاتين الآيتين يبين ﷻ أنه لا يغفر لعبد لَقِيَهُ مشركاً به أحداً من خلقه، ويغفر ما دون ذلك من الذنوب صغائرها وكبائرها عند مشيئته، حسبما تقتضيه حكمته ورحمته[(٣)].

قال ابن جرير: «وقد أَبَانَتْ هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركاً بالله»[(٤)].

وقد جاءت السُّنَّة مقررة ومؤكدة لهذه الآيات حيث وردت أحاديث كثيرة[(٥)] تدل على أن من مات مشركاً فهو من أهل النار، ولا يدخل في أهل

---

(١) تفسير ابن جرير ٩/ ٨٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٦.

(٢) والمقصود هنا: الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر فقد اختلف فيه العلماء، فبعضهم قال: إنه لا يغفر إلا بالتوبة منه كالأكبر، وبعضهم قال: إنه واقع تحت المشيئة كسائر المعاصي، وأصحاب القول الأول لا يحكمون بخلوده في النار، بل يقولون: إنه يوازن بين حسناته وسيئاته فإن رجحت حسناته دخل الجنة، وإن رجحت سيئاته عذب في النار بقدر ذنوبه ثم يكون مآله إلى الجنة، كما تقدم في التمهيد.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٤/ ١٢٨، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٢٠، وتفسير السعدي ٢/ ٨٠.

(٤) تفسير ابن جرير ٤/ ١٢٩، وانظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٧١٢.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٠.

الرحمة والغفران، فمن ذلك قوله ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»[١].

وقوله ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار»[٢].

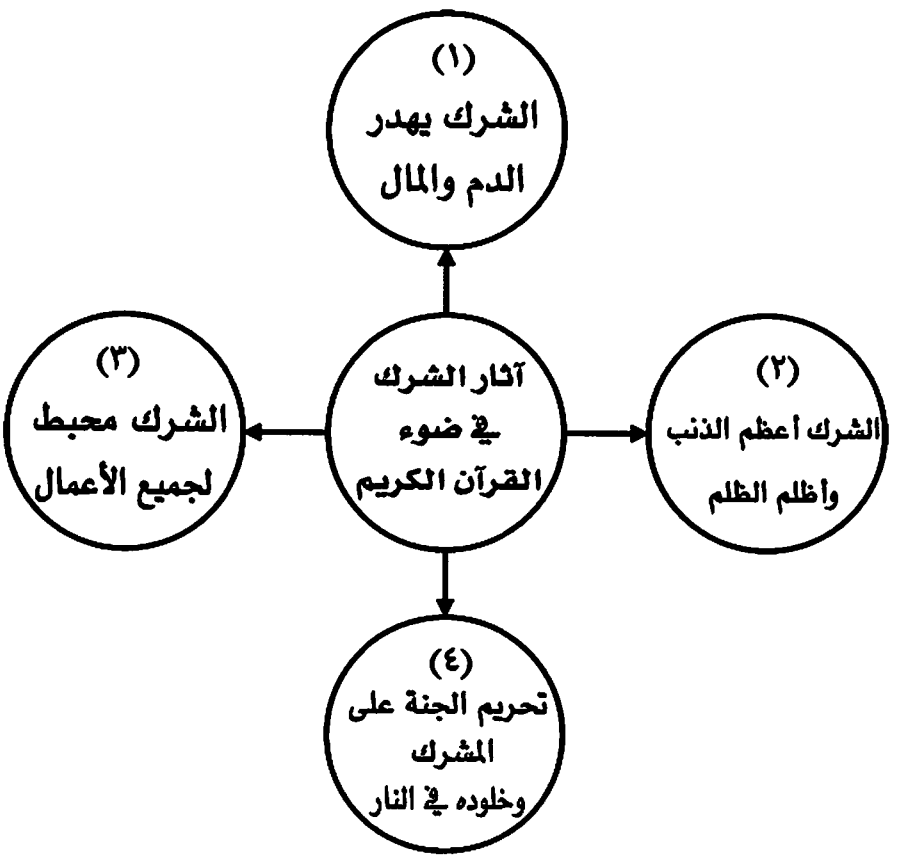

(١) أخرجه البخاري ٨/ ١٧٦ (ح٤٤٩٧).

(٢) أخرجه مسلم ١/ ٩٤ (ح٩٣).

الأنموذج الثاني

مثال تطبيقي لتفسير سورة تفسيراً موضوعيّاً

سورة المجادلة دراسة موضوعية

التعريف بالسورة

أولاً: أسماء السورة:

السورة لها ثلاثة أسماء:

١ ـ **(المُجَادِلة)**، بكسر الدَّال وفتحها، والأشهرُ الكسر، سمِّيَتْ بذلك لافتتاحها بذكر قصة المجادِلة، وهي خَوْلَة بنت ثعلبة ﵂، التي جاءت إلى النبي ﷺ شاكيةً حينما ظاهر منها زوجها، وبالفتح: المُجَادَلة، نسبةً للمَصْدَر مُجَادَلَة.

وهذا الاسم هو المشهور في المصاحف وكتب التفسير، وقد ورد تسميتها به عن بعض الصحابة ﵃.

٢ ـ **(قَدْ سَمِع)**، وهو اسم اجتهادي، ذكره بعضُ المفسرين، سمِّيَتْ به لافتتاحها بها اللفظ.

٣ ـ **(الظِّهار)**، وهو اسم اجتهادي، مذكورٌ في كتب التفسير وعلوم القرآن، سميَّتْ به لذكر أحكام الظهار في افتتاحيتها[١].

ثانياً: عدد آيات السورة:

عدد آيات السورة ثنتان عشرون آية، في العَدِّ الكوفي والبصري والشامي، وإحدى وعشرون آية في العد المكي والمدني الثاني، والخلاف في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة: ٢٠]، هل هي آية مستقلة معدودة، أم تابعة لما بعدها[٢].

---

(١) انظر: الإتقان ٢/ ٣٦٣، ومصاعد النظر ٣/ ٦٧، والتحرير والتنوير ٢٨/ ٥، وروح المعاني ١٤/ ١٩٧، وأسماء سور القرآن وفضائلها ص٤٢٥.

(٢) انظر: البيان في عد آي القرآن ص٢٤٢.

ثالثاً: موضع نزولها:

سورة المجادلة مَدَنِيَّةٌ، وقد نقل بعضهم الإجماعَ عليه[١]، ودليل ذلك الآثار الواردة في سبب نزولها كما يأتي، كما يُعرف ذلك من خلال النظر في موضوعات السورة وأساليبها.

رابعاً: سبب نزولها:

وردت عدةُ أسباب لنزول آيات السورة، وأولها نزل في شأن شكوى خَوْلَة بنت ثعلبة رضي الله عنها، حينما ظاهر منها زوجها، وسيأتي ذكر ما ورد فيها من أسباب نزول عند تفسير الآيات في مواضعها.

خامساً: موضوعات السورة:

عند التأمل في آيات هذه السورة الكريمة نجد أنها تحدثت عن عدّة موضوعات، يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ حكم الظِّهار وكفارته.

١ ـ مُحادَّة الله ورسوله وجزاء أهلها.

١ ـ آداب المناجاة في المجلس.

١ ـ أدب المجالس.

١ ـ الأمر بالصدقة عند مناجاة النبي ﷺ.

١ ـ وعيدُ المنافقين الذين يوالون اليهود.

١ ـ جزاء من يحادِّ الله ورسوله.

١ ـ وعد المؤمنين الذين الصادقين.

قال الفيروزآبادي: «معظم مقصود السّورة: بيان حُكْم الظِّهار، وذكر النجوى والسّرار، والأمر بالتَّوسع فى المجالس، وبيان فضل أهل العلم، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حِزب الرّحمٰن، وحزب الشيطان، والحكم

(١) انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ٢٥٢، والبغوي ٨/ ٤٧، وابن عطية ١٥/ ٤٣٤.

على بعضٍ بالفلاح، وعلى بعضٍ بالخسران»[١].

سادساً: فضائل السورة:

لم يثبت فضلٌ خاص لهذه السورة الكريمة، ولكنها من سور المفصَّل، وقد ورد في فضله عموماً قوله ﷺ: «**أُعْطِيتُ مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْتُ بِالمُفَصَّلِ**»[٢].

سابعاً: محور السورة ومقصدها:

مقصد هذه السورة الكريمة: بيان علم الله ﷻ، ومعيته لِخَلْقِه وإحاطته بأعمالهم.

يقول البقاعي: «مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديد، بمن حادَّ الله ورسوله لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها، وتكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة تكريراً لم يكن في سواها بحيث لم تخل منه آية[٣]، وأما الآيات التي تكرر في كل منها المرتين فأكثر، فكثيرة»[٤].

ثامناً: مناسبات السورة:

١ ـ المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها:

لمَّا خُتمت سورة الحديد بإثبات عجز الخلق، وأن الفضل العظيم له

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٥٦.

(٢) أخرجه الطيالسي ٢/ ٣٥١ (ح١١٠٥)، وأحمد ٢٨/ ١٨٨ (ح١٦٩٨١) ط. الرسالة، والطبري ١/ ٥٥، عن وَاثِلة بن الأسْقَع ﷺ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٤٦٩.

(٣) وهو الاسم الكريم (الله) فقد ذكر في كل آية من آياتها، وهذا من خصائص هذه السورة الكريمة.

(٤) مصاعد النظر ٣/ ٦٨، وانظر: نظم الدرر ١٩/ ٢٣١.

سبحانه، كما قال ﷻ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: ٢٩] كان سماعُ أصوات جميع الخلائق من غير أن يشغله صوت عن صوت، وكلام عن كلام، ومن ذلك سماعه ﷻ مجادلة تلك المرأة، من هذا الفضل العظيم[١].

٢ ـ مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها:

ـ في أول السورة ذكر الله ﷻ سمعَه لأوليائه ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ...﴾ وفي خاتمتها ذكر ﷻ رضاه عن أحبابه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٢].

ـ في أول السورة تحذيرٌ من تعدي حدود الله تعالى بالظِّهار وغيره، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [المجادلة: ٤]، وفي خاتمتها: أن مَن تعدى حدودَه ﷻ فهو من حزب الشيطان: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩][٣].

٣ ـ المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

لما ذكر ﷻ في مطلع الحديد صفاته الجليلة، ومنها: الظاهر والباطن، وأنه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤] ذكر في سورة المجادلة سَمْعَهُ قولَ المجادِلة التي شكتْ إليه ﷻ.

ثم ورد بعد ذلك قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

---

(١) انظر: نظم الدرر ١٩/٣٣٢، وتفسير الألوسي ١٤/١٩٧

(٢) انظر: مراصد المطالع ص٧٠.

(٣) انظر: نظم الدرر ١٩/٤٠١.

عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧] وهو تفصيل لإجمال قوله ﷻ في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤][1].

(١) انظر: تناسق الدرر ص١٢٢.

موضوعات سورة المجادِلة

الموضوع الأول

حكم كفارة الظِّهار

قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [المجادلة: ١ ـ ٤].

سبب نزول الآيات:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «الحمد لله الذي، وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لقد جاءت خَوْلَةُ إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١]»[1].

وفي رواية: «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة

---

(١) أخرجه أحمد ٤٠/٢٢٨ (ح٢٤١٩٥) ط. الرسالة، والنسائي ٦/١٦٨ (ح٣٤٦٠)، وابن ماجه ١/٦٧ (ح٨٨)، والبخاري تعليقاً ٩/١١٧، وصححه ابن حجر في تغليق التعليق ٥/٣٣٩.

بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرتُ له بطني، حتى إذا كَبِرَتْ سِنِّي، وانقطع ولدي، ظاهرَ مني، اللَّهُمَّ إني أشكو إليك، فما برحتْ حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾»[1].

وفي بعض الروايات: «جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا نبي الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي، وأحب الناس إليَّ، قد قال كلمةً، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، قال: أنتِ عليَّ كظهرِ أميَّ، فقال النبي ﷺ: «**ما أراك إلا قد حرمتِ عليه**». قالت: لا تقل ذلك يا نبي الله، والله ما ذكر طلاقاً؛ فرادَّت النبي ﷺ مراراً، ثم قالت: اللَّهُمَّ إني أشكو اليوم شدة حالي ووحدتي، وما يشق علي مِن فراقه، اللَّهُمَّ فأنزل على لسان نبيك. فلم تَرُمْ مكانها حتى أنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى أن ذكر الكفارات، فدعاه النبي ﷺ فقال: «**أعتق رقبة**»، قال: لا أجد، فقال: «**صم شهرين متتابعين**»، قال: لا أستطيع، إني لأصوم اليوم الواحد فيشق علي، قال: «**أطعم ستين مسكيناً**»، قال: أما هذا فنعم»[2].

العرض الإجمالي للآيات:

افتتح الله ﷻ هذه السورةَ الكريمة بذكر حادثة الظِّهار، وهي مظاهرة أوس بن الصَّامت الأنصاري، ـ أخي عُبادة بن الصامت ـ، من زوجته خَولة بنت ثَعْلَبَة ﵂، كما تقدم في سبب النُّزول.

فبيَّن ﷻ أنه قد سمعَ قولَ هذه المرأة التي جاءت سائلةً عن حكم مظاهرة زوجها منها، محاورةً للنبي ﷺ مراجعةً له، شاكيةً حالها لله تعالى.

والظِّهار عادةٌ من عوائد الجاهلية، وهو: أن يقول الرجل لزوجته: أنتِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه ص٥٦٦ (ح٢٠٦٣)، والحاكم ٢/٥٢٣ (ح٣٧٩١) وصححه، والبيهقي في السنن ٧/٦٢٨ (ح١٥٢٤٣).

(٢) أخرجه الطبري ٢٢/٤٥١.

عليَّ كظهر أُميَّ، ويكون ذلك بتشبيه المرأة بمن تحرم عليه على التأبيد كالأم والأخت والعمة والخالة، ويعني: أنتِ محرمةٌ عليَّ كتحريم أميَّ، وكانوا يَعُدُّونه طلاقاً وتحريماً مؤبداً لا رجعة فيه، فلما حصل ذلك من أوسٍ ندمَ على ذلك، وحزنتْ زوجتهُ خَولةُ وأبتْ أن يقربها حتى تأتي النبي ﷺ فتستفتيه في ذلك، فجاءت إليه ولم يكن أنزل الله فيه شيئاً، فلما سألته وشكت حالها إلى الله ﷻ أنزل الله فيه هذه الآيات قبل أن تخرج من عنده، إن الله سميع لجميع الأصوات في جميع الأوقات على تفنُّن الحاجات، بصيرٌ بخلقه لا يخفى عليه شيء من أمرهم، يرى دبيب النَّملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ولذلك سمع شكوى هذه المرأة وأنزل حكمها وحكم أمثالها.

ثم بيَّن ﷻ أن الظِّهار قولٌ منكرٌ شرعاً قبيح عُرفاً، وبهتان وباطل، ذلك أنه تشبيهٌ للزوجة التي أحلها الله بالأم الوالدة التي هي في غاية التحريم، وما هي مثلها، ومع نكارة هذا القول وتحريمه فإن الله عفوٌّ لمن تاب منه وندم عليه غفور لذنبه.

ثم ذكر ﷻ كفارةَ مَن وقع منه الظِّهار، فأوجب على مَن عادَ منهم عن قوله فعزم على الجماع عتقَ رقبةٍ مملوكة مؤمنة، سليمة من العيوب المعتبرة، قبل أن يمسَّ زوجته، مبيناً ﷻ أن هذا الحكم مما يوعظ به المظاهرون؛ ليكون لهم زاجراً عن فعل هذا المنكر، مبيناً أنه ﷻ خبير بأعمالهم مجازيهم عليها.

فإن لم يجد المظاهرُ رقبةً يعتقها أو لم يجد ثمنها، انتقل إلى النوع الثاني من أنوع الكفارة وهو صيام ستين يوماً متتابعة دون انقطاع إلا لعذر، فإن لم يستطع الصيام لمرض أو كِبَر أو غير ذلك أطعم ستين مسكيناً كل مسكين من قوت بلده، أو أعطى كل واحد منهم مُدَّ برٍّ أو صاعاً من طعام.

ثم ختم الله هذه الآيات مخبراً أن قبول هذا الحكم والعمل به من الإيمان بالله ورسوله، وأنه من الحدود التي شرعها، فلا ينبغي تجاوزها بفعل

الظِّهار أو عدم الكفارة، مخبراً أن الظهار من عمل أهل الجاهلية الكافرين الموعودين بالعذاب المؤلم في الآخرة[١].

هدايات وفوائد الآيات:

ـ رعاية الله تعالى لعباده ورأفته بهم، حيث سمع شكوى هذه المرأة الضعيفة، وكشف كُربتَها.

وقد رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه بينا هو يسير على حمار، لقيته امرأةٌ، فقالت: قفْ يا عمر، فوقف، فأغلظتْ له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ما رأيت كاليوم شدةَ امرأةٍ على رجل، ولا استماع رجل لامرأة، قال: ويحك، ما يمنعني أن أستمع إليها، وهي التي استمع الله لها، أنزل فيها ما أنزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾، فما أحقني بأن استمع لمن استمع الله منها[٢].

ـ الظهار محرم؛ لأن الله سماه منكراً وزوراً، ولأنه تشبيه للزوجة الحلال بالأم، ولذلك كره بعض العلماء أن ينادي الرجل امرأته باسم أحد محارمه، كأن يقول: يا أمي يا أختي[٣].

ـ دلَّت الآية الأولى على إثبات اسمين كريمين لله تعالى، وهم السميع البصير، والسميع يدل على إثبات صفة السمع لله تعالى على ما يليق به ﷻ، فهو يسمع جميع الأصوات، الجهر والسِّر عنده سواء، والبصير يدلُّ على إثبات صفة البصر لله تعالى، فهو يبصر جميع المخلوقات لا يخفى عليه شيء، ودلَّت الآية الثانية على إثبات اسمين كريمين هما: العفو الغفور، فهو المتجاوز عن ذنوب عباده يمحوها، ولا يعاقبهم عليها، وهو ذو المغفرة الواسعة لهم، وهي ستر الذنب، والتجاوز عن العقوبة، ودلَّت الآية الثالثة على

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٨٠، وابن كثير ٨/ ٣٤، والسعدي ص٨٤٤، والتحرير والتنوير ٢٨/ ٦، والتفسير المنير ٢٨/ ١٢.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٢٤٥، وانظر: الدر المنثور ١٤/ ٢٩٩.

(٣) انظر: تفسير السعدي ص٨٤٥.

إثبات اسم الله الخبير، فهو المطَّلع على بواطن الأمور وخفاياها[١].

- حِرص الإسلام على تحرير الرِّقاب من الرِّق، ولذلك جعل تحرير الرقبة من الكفارات في الظهار والقتل واليمين وغيرها.

- يسر الإسلام وسماحته، حيث تدرَّج بالكفارة، وجعلها أنواعاً فمن لم يستطع العتق انتقل إلى الصيام، ومن لم يستطع الصيام أطعم.

(١) انظر: تنوير العقول والأذهان ص١٣.

الموضوع الثاني

جزاء الذين يُعادون الله ورسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٥ ـ ٧].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا بيّن الله ﷻ في الآيات السابقة أحكام الظهار، ومدح المؤمنين الواقفين عند حدوده، وتوعَّد من خالفَ حدوده بالعذاب الأليم، ذكر في هذه الآيات ما يلحق المخالفين لشرعه المعادين لأمره وأمر رسوله ﷺ من خِزْي وهوان في الدنيا، وعذابٍ في الآخرة، وأن الله مطلع عليهم عليم بأعمالهم، لا يخفى عليه شيء من سرهم وعلانيتهم، يحفظها عليهم ثم يجازيهم بها في الآخرة[1].

العرض الإجمالي للآيات:

في هذه الآيات الكريمة يتوعَّد الله ﷻ الذين يعادونه ويشاقُّونه بمخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ بالذُّلِّ والخِزْي والهوان في الدنيا كما هي سنَّنه في أمثالهم من الأمم السابقة، فقد قامت عليهم الحُجَّة بإنزال الآيات البيِّنات

(١) انظر: البحر المحيط ٨/ ٢٣٤، والتفسير المنير ٢٨/ ٢٦.

الواضحات الدالة على وجوب الإيمان به وبرسله واتباع شرعه، فمن كفر بها واستكبر عنها فله عذاب مهين في الدنيا والآخرة.

ثم يذكِّر ﷻ بمشهد عظيم مهول، وهو ذلك اليوم الذي يبعث الله فيه الناس جميعاً على صعيد واحد، فيحاسبهم ويخبرهم بما عملوا في الدنيا من خير أو شر، قد كتبه وأحصاه ﷻ، وهم قد نسوه، ولم يحذروا عواقبه، والله ﷻ على كل شيء شاهد ومطَّلع لا يخفى عليه شيء.

ثم يؤكِّد ﷻ إحاطة علمه بكل شيء في السماء والأرض، وأنه مع خَلقه بعلمه وإحاطته، فلا يخلو ثلاثةٌ من عباده يتناجون ويتحدثون سرّاً في خير أو شر إلا كان رابعهم معهم بعلمه، ولا خمسة إلا وهو سادسهم، ولا أقل من هذا العدد أو أكثر إلا كان معهم حيثما كانوا، يراهم ويسمعهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، ثم يخبرهم بما عملوا وتناجوا به يوم القيامة.

قال ابن كثير: «حكى غيرُ واحد الإجماعَ على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعُه أيضاً مع علمه محيط بهم، وبصرُهُ نافذ فيهم، فهو سبحانه، مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء»[(١)].

وهذا يوجب تقواه ﷻ ومراقبته في السِّر والعلن، وهو العليم الذي أحاط علمُه بكل شيء[(٢)].

هدايات وفوائد الآيات:

- في هذه الآيات وعيد للحكام الذين يتركون حكم الله ﷻ ويحكمون بقوانين وضعية مخالفة لما شرع الله ﷻ[(٣)].

- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٤٢.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٢٢/ ٤٦٦، القرطبي ٢٠/ ٣٠٤، وابن كثير ٨/ ٤١، والسعدي ص٨٤٥، ٢٨/ ٦، والتفسير المنير ٢٨/ ٢٦، وتنوير العقول والأذهان ٢/ ٢٧.

(٣) انظر: تفسير المراغي ٢٨/ ١٠.

ترهيب شديد، حيث تعرض أعمال العباد التي أسرُّوها وأخفوها عن الناس على الأشهاد يوم القيامة.

- أن عاقبة كل من عادى اللهَ ورسوله ﷺ وتجاوز حدوده الذل والهوان في الدنيا والعذاب المهين يوم القيامة، وفي هذا بشارة للمؤمنين، ووعيد للكافرين[١].

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ أكد ﷻ شمولَ علمه لكل شيء بمؤكدات ثلاثة: (إنَّ) وهي حرف توكيد، وتقديم المتعَلقَين (بكل شيء) وكون الجملة اسميةً، وقد افتتح الله هذه الآية بالعلم واختتمها بالعلم[٢].

(١) انظر: التفسير المنير ٢٨/ ٢٩.

(٢) انظر: تنوير العقول والأذهان ٢/ ٣١.

الموضوع الثالث

آداب المناجاة بين المؤمنين

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ٨ ـ ١٠].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا بيّن الله ﷻ علمه التام بكل شيء ومعيته لعباده، واطلاعه على سرهم ونجواهم، ذكر شيئاً مما وقع فيه التناجي المنهي عنه، وهو تناجي اليهود والمنافقين بالإثم والعدوان[1].

سبب نزول الآيات:

رُويَ أنها نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم

(١) انظر: نظم الدرر ١٩/ ٣٦٧، والتفسير المنير ٢٨/ ٣٣.

ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

العرض الإجمالي للآيات:

افتتح الله ﷻ هذه الآيات بالاستفهام التقريري المتضمن لمعنى التعجب: ألمْ تنظر يا محمد ﷺ إلى أولئك الذين نهيتهم عن التناجي المحرَّم، وهو المسارَّة بين اثنين أو أكثر بما يحزن أو يضرُّ المؤمنين، فلم يسمعوا ويطيعوا، بل عادوا إلى ما نهوا عنه فتسارُّوا بالمعاصي والعدوان ومخالفة الرسول ﷺ، ومن ذلك: أنهم كانوا يحيُّون النبي ﷺ بتحية سيئةٍ وهم يظهرون خلافَ معناها الباطل، وقد اغترُّوا بإمهال الله ﷻ لهم حيث كانوا يقولون: لو كان محمدٌ رسولاً حقّاً لعذَّبنا اللهُ على هذا القول الذي يتضمن السُّخريةَ والدعاء عليه، فتوعَّدهم ﷻ بجهنَّمَ يقاسون حرَّها، وكفى بها عذباً، وبئست مآباً.

عن عائشة ﵂: «أن اليهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك، قال: **وعليكم**، فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: **مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف، أو الفحش**، قالت: أَوَلم تسمع ما قالوا؟ قال: **أَوَلم تسمعي ما قلت، رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في**»[٢].

وفي رواية لمسلم فنزلت: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٣].

ثم بيَّن ﷻ آداب المناجاة بين المؤمنين، حيث نهاهم عن مشابهة اليهود والمنافقين الذين يتناجون بالإثم والعدوان والعصيان للرسول ﷺ، وأمرهم بالتناجي بالبرِّ الذي يشمل كل خير وطاعة، والتقوى التي تقتضي ترك ما نهى الله عنه خوفاً من عقابه، مذكراً لهم بأنهم جميعاً مجموعون إليه ليحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بها.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٦٤٨، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٠٧، والقرطبي ٢٠/ ٣٠٨، وانظر: تفسير ابن جرير ٢٢/ ٤٧٠، والدر المثور ١٤/ ٣٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٨/ ٨٥ (ح٦٤٠١)، ومسلم ٤/ ١٧٠٦ (ح٢١٦٥).

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٧٠٧ (ح٢١٦٥)، وانظر: تفسير ابن جرير ٢٢/ ٤٧١.

ولمَّا ذكر آداب المناجاة بيّن ﷻ أن النجوى التي يُتوهَّم منها السوءُ إنما هي من وسوسة الشيطان وكيده وتزيينه لِيَحزُن المؤمنين، والواقع أن ليس بضارّهم شيئاً إلا بإرادة الله تعالى وإذنه، فينبغي أن يتوكل عليه ﷻ المؤمنون ويفوضوا أمرهم إليه فإن مَن توكل عليه كفاه[١].

وقد ورد النهي عن تناجي الجماعة دون واحد لما يترتب على ذلك من حصول الشك أو سوء الظن عنده، قال النبي ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، أجل أن يحزنه**»[٢].

هدايات وفوائد الآيات:

١ ـ من عوائد اليهود والمنافقين التآمر والكيد للإسلام وأهله، ومن ذلك تناجيهم بالإثم والعدوان، وتواصيهم بمخالفة الرسول ﷺ، وإساءة الأدب معه، والاغترار بإمهال الله[٣].

٢ ـ نداء المؤمنين بوصف الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فيه تكريم وتشريف لهم، ودلالة على أن امتثال ما أمروا به بعده من مقتضيات الإيمان[٤].

٣ ـ الوعيد الشديد لليهود والمنافقين، الذين تناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ وأساؤوا الأدب معه فحيوه بما لا يليق به.

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٢٢/٤٦٨، القرطبي ٢٠/٣٠٨، وابن كثير ٨/٤٢، والسعدي ص٨٤٥، والتفسير المنير ٢٨/٣٣.
(٢) أخرجه البخاري ٨/٦٥ (ح٦٢٩٠)، ومسلم ٤/١٧١٨ (ح٢١٨٤).
(٣) انظر: التفسير المنير ٢٨/٣٥.
(٤) انظر: تنوير العقول والأذهان ٢/٣٨.

الموضوع الرابع

أدب المجالس

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما نهى الله ﷻ في الآيات السابقة المؤمنين عما يكون سبباً للحزن والعدوان والبغضاء بينهم، أمرهم في هذه الآية الكريمة بما يكون سبباً في المودَّة والتراحم بينهم وهو التوسعة في المجالس، والانصراف عنها إذا طلب منهم ذلك لمصلحة معينة(١).

سبب نزول الآية:

رُوي في سبب نزولها أن الصحابة ﷺ كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضَنُّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض(٢).

العرض الإجمالي للآية:

يأمر ﷻ المؤمنين في هذه الآية الكريمة إذا طُلب منهم التوسُّع في المجالس، ولا سيما مجالس العلم والخير والطاعة، أن يفسح بعضُهم لبعض ويوسِّعوا لمن قَدم حتى يشاركهم في الجلوس، مرغِّباً لهم بذكر جزاء هذا العمل، وهو أن الله تعالى يوسّع لهم في الدنيا والآخرة، كما وسّعوا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٣١٥، والألوسي ٢٨/ ٢٧، والمراغي ٢٨/ ١٥.

(٢) أخرجه الطبري عن قتادة ٢٢/ ٨٤٧٦.

لإخوانهم، فإن الجزاء من جنس العمل، ولا شك أن هذا الأدب يورث الرحمة والمودة بين المؤمنين.

ثم ذكر ﷻ أدباً آخر من آداب المجالس، وهو أنه إذا طُلب منهم أن يقوموا من المجلس لحاجة، أو طاعة كالجهاد والصلاة، أو قدوم مَن يجب تقديره وتقديمه، أو غير ذلك من الأغراض التي توجب القيام = أن يقوموا تحصيلاً لتلك المصالح، فإن ذلك من خصال أهل العلم والإيمان، الذين وعدهم الله ﷻ برفعة درجاتهم في الدنيا والآخرة، أمَّا إذا لم يوجد سببٌ أو مصلحة شرعية لأمرهم بالقيام فإنه لا يجوز أن يُقام الإنسان من مجلسه لما ثبت عن النبي ﷺ أنه نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا، وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه[١].

وقد خَصَّ أهلَ العلم بالذكر وإن كانوا داخلين في عموم الذين آمنوا لفضلهم على غيرهم، ثم ختم الآية ببيان اطلاعه على أعمال عباده ومجازاتهم عليها[٢].

هدايات وفوائد الآية:

١ ـ عناية الإسلام بالآداب التي تقوي الروابط بين المسلمين، وتنشر الألفة والمحبة بينهم، ومن ذلك الأمر بالتفسُّح في المجالس وترتيب الفضل العظيم على ذلك.

٢ ـ قال الرازي عند قوله تعالى: ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: «هو مطلق في كل ما يطلب الناسُ الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة.

واعلم أن هذه الآية دلت على أن كل مَن وَسَّعَ على عباد الله أبوابَ الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٦١/ ٦٢٧٠، ومسلم ٤/ ١٧١٤ (ح٢١٧٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٣١٥، وابن كثير ٨/ ٤٥، والسعدي ص٨٤٦.

يقيد الآية بالتفسح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه»[١].

٣ ـ في الآية بيان فضل العلم وأنه يرفع صاحبه وإن لم يكن له حَسَبٌ ونسب، وقد ثبت أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب ﷺ بعُسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملتَ على أهل الوادي[٢]؟ فقال: ابن أبْزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفتَ عليهم مولى! قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ وإنه عالم بالفرائض.

قال عمر: «أما إن نبيِّكم ﷺ قد قال: **إن الله يرفع بهذا الكتابِ أقواماً ويضع به آخرين**»[٣].

(١) تفسيره (الرازي) ٢٩/ ٤٩٤.
(٢) يعني: مكة.
(٣) أخرجه مسلم ١/ ٥٥٩ (ح٧١٨).

الموضوع الخامس

الأمر بالصدقة عند مناجاة النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة: ١٢، ١٣].

مناسبة الآيتين لما قبلهما:

لمَّا ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة أدب المناجاة والمجالسة بين المؤمنين، ذكر ﷻ شيئاً من آداب مجالسة النبي ﷺ والحديث معه، وهو الصدقة في سبيل الله قبل مناجاته؛ لأن الصحابة كانوا يتنافسون في القرب منه ويكثرون الحديث معه، وربما شقَّ عليه ذلك، أو على مَن كان بحضرته، فأمر بالصدقة قبل مناجاته تخفيفاً عليه وتوقيراً لمناجاته[1].

سبب نزول الآية:

ورد عن ابن عباس ﷺ: «أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيِّه؛ فلما قال ذلك صبرَ كثيرٌ من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فوسَّع الله عليهم، ولم يضيق»[2].

---

(١) انظر: التفسير المنير ٢٨/ ٤٦.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٢/ ٤٨٥، وانظر: الدر المنثور ١٤/ ٣٢٤.

العرض الإجمالي للآيتين:

في الآية الكريمة الأولى يأمر الله ﷻ صحابة نبيِّه ﷺ بالصَّدقة عند إرادة التَّحدث معه أو سؤاله، وذلك تخفيفاً على النبي ﷺ وتوقيراً له، ونفعاً للفقراء، وتمييزاً للمؤمنين الصادقين عن المنافقين، وذلك أن المسائل كَثُرَتْ عليه ﷺ كما تقدم.

ثم يبين ﷻ فضل الصدقة وأنها خيرٌ وأجرٌ ثابت للإنسان وطهارة لنفسه من الشُّح والبخل، والأخلاق الرديئة التي منها ترك احترام النبي ﷺ بكثرة مناجاته من غير حاجة.

ولما كان بعض الناس فقراء لا يجدون ما يتصدقون به، رفع ﷻ الحرجَ عنهم وأباح له مناجاة النبي ﷺ من غير صدقة، والله غفور رحيم بعباده.

وبعد نزول هذه الآية بفترة يسيرة نزلت الآية الثانية التي نسخَ الله هذا الحكمَ ورفعه عن المؤمنين، فأباح مناجاةَ نبيه ﷺ من غير صدقة رحمةً بهم وتيسيراً عليهم ورفعاً للمشقَّة عنهم، بعد أن تحققت الحكمة من ذلك، وهي تعظيم النبي ﷺ وتوقيره، ثم بيَّن ﷻ أنهم إن لم يقدِّموا هذه الصدقة فقد عفا عنهم، فعليهم أن يؤدوا الصلاة تامةً بشروطها وواجباتها، ويؤتوا الزكاة المفروضة طيبةً بها نفوسهم، ويطيعوا الله ورسوله، بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، والله خبير بأعمال عباده مطلع عليها ومجازيهم بها[1].

هدايات وفوائد الآيتين:

١ ـ رحمة الله بأمته حيث شرع النَّسخ لحكم عديدة منها: التَّخفيف عليهم، ومن ذلك نسخ الأمر بالصدقة عند مناجاة النبي ﷺ.

٢ ـ عظم شأن الصلاة والزكاة في الإسلام، ولذلك خصَّهما الله تعالى

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٠/٣٢١، وابن كثير ٥/٤٩، والسعدي ص٨٤٧، والتفسير المنير ٢٨/٤٦.

بالذكر، حيث إنهما أمُّ العبادات البدنية والمالية، وفيهما قيام بحقوق الله تعالى وحقوق عباده[١].

٣ ـ إثبات اسمين من أسماء الله تعالى الحسنى وهما: الغفور، الرحيم، وما دلَّا عليه من الصفات العُلَى.

(١) انظر: تفسير السعدي ص٨٤٧.

الموضوع السادس

بيان حال المنافقين الموالين لليهود

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٤ ـ ١٩].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أخبر الله ﷻ في الآية السابقة عن إحاطة علمه بكل شيء ذكر هنا اطّلاعه على حال المنافقين الذين يبطنون الكفر، وموالاة اليهود الذين غضب الله عليهم[1].

سبب نزول الآيات:

ورد في سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان في ظلِّ حُجْرَةٍ من حُجَرِهِ وعنده نفر من المسلمين، قد كاد يَقْلُصُ عنهم الظل، فقال: «**إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعينيّ شيطان، فإذا أتاكم، فلا تكلموه**»، قال: فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ، فكلمه، قال: **علام تشتمني أنت، وفلان، وفلان؟**

(١) انظر: نظم الدرر ١٩/ ٣٨٥.

نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ﴾ الآية[1].

العرض الإجمالي للآيات:

وفي هذه الآيات الكريمة يخبر ﷻ عن سوء حال المنافقين الذين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم ويوادُّونهم، ويبين ﷻ أن هؤلاء المنافقين مذبذبون ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين؛ لأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والعدوان، وكان من صفاتهم الذميمة أنهم يحلفون الأيمان الكاذبة أنهم مؤمنون مصدقون للرسول ﷺ، وهم يعلمون كذب أنفسهم، وهذه هي اليمين الغموس، التي هي ديدن المنافقين في كل زمان.

ثم توعَّدهم الله ﷻ بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة جزاءً لأعمالهم السيئة ونواياهم الخبيثة، وقد جعلوا أيمانهم الكاذبة وقايةً لدمائهم وأموالهم وستراً من لوم رسول الله ﷺ وأصحابه، فأعرضوا عن دين الله وصدُّوا غيرهم عن الإيمان به، فكان جزاؤهم العذاب المهين المخزي لهم في الدنيا والآخرة، ولن تنفعهم أموالهم وأولادهم وتدفع عنهم من عذاب شيئاً، بل سيكون مآلهم إلى النار مقيمون بها فيها أبداً لا يخرجون منها.

ثم يذكر الله ﷻ مشهداً من مشاهد خزيهم وفضيحتهم يوم القيامة، وذلك يوم يبعثهم من قبورهم للحساب فيبادرون بالحلف الكاذب أنهم مؤمنون، كما كانوا يحلفون للمؤمنين في الدنيا ظانين أن ذلك سينجيهم من عذاب الله ﷻ، وهيهات أن يروج كذبُهم على علَّام الغيوب.

ثم ذكر ﷻ سبب ضلالهم وأنه استيلاء الشيطان عليهم وتزيينه لأعمالهم وصدّه لقلوبهم، حيث أنساهم ذكر الله وصرفهم عن آياته، فكانوا من أتباعه وجنده الخاسرين في الدنيا والآخرة[2].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٣٢ (ح٢٤٠٨) ط. الرسالة، والطبري في تفسيره ١٤/ ٤٩١.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٢٢/ ٤٨٧، وابن كثير ٨/ ٥١، والسعدي ص٨٤٧.

هدايات وفوائد الآيات:

١ ـ النهي عن موالاة من عادى الله ورسوله ﷺ.

٢ ـ أن المنافقين في حيرة وضلال، فلا هم مع المؤمنين ولا مع الكافرين، قد استولى عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وصرفهم عن دينه.

٣ ـ وجوب حفظ الأيمان، والترهيب من الأيمان الكاذبة التي هي من عادات المنافقين.

الموضوع السابع

بيان عاقبة المعادين لله ورسوله ﷺ وجزاء المؤمنين الصادقين

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٠ ـ ٢٢].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر ﷻ في الآيات السابقة حال المنافقين وموالاتهم لليهود ذكر في هذا الآيات عاقبة من عاداه وعادى رسوله ﷺ، كما ذكر صفة المؤمنين الصادقين، وأنهم لا يتولون أعداء الله ولو كانوا أقربَ الناس إليهم نسباً.

العرض الإجمالي للآيات:

في هذه الآيات الكريمة يؤكد ﷻ ذلَّ وهوان وخذلان من عاداه وعادى رسوله ﷺ وخالف شرعه، ويبشِّر أولياءه المؤمنين به وبرسله بأنه قد كتب لهم الغلبَة والنصر، وهو القوي الذي لا غالب له، العزيز القهار.

ثم يخبر ﷻ أنه لا يمكن لمؤمن صادق الإيمان بالله واليوم الآخر أن يحبَّ ويودَّ من شاقَّ وعادى الله ورسوله وخالف أمرهما من اليهود وغيرهم من الكفرة والمشركين، ولو كان هؤلاء المعادون المعاندون من الأرحام

والقرابات، من الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة؛ لأن الله تعالى قد ثبَّت الإيمان وألزمه قلوبهم، وقوَّاهم بوحيه وتوفيقه ومدده، وهذا فضل كبير منه ﷻ، وفي الآخرة لهم الجزاء العظيم، وهو دخول جنات النعيم التي تجري من تحت قصورها وحدائقها الأنهار ماكثون فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون عنها، ولهم من النعيم ما هو أكبر من ذلك وأعظم وهو رضوان الله ﷻ عليهم، هؤلاء هم حزب الله وأولياؤه حقيقةً وأهل كرامته، وهم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة الناجون من عذاب الله[١].

هدايات وفوائد الآيات:

١ ـ أن عاقبة الكفار المعادين لله ورسوله ﷺ الذل والخذلان في الدنيا والآخرة.

٢ ـ وعد المؤمنين الصادقين بالنصر والتمكين.

قال ابن كثير: «قد حكم وكتب في كتابه الأول، وقدره الذي لا يُخالف ولا يمانع، ولا يبدل، بأن النُّصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين، في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين...»[٢].

٣ ـ إثبات اسمين كريمين من أسماء الله تعالى وهما: القوي، العزيز، وما يدلّان عليه من صفات كريمة تليق بجلاله وعظمته[٣].

٤ ـ أنه لا يليق بالمؤمن موادَّة مَن عادى الله ورسوله ﷺ ولو كان أقربَ قريب.

٥ ـ وَعْدُ المؤمنين الصادقين بالثواب الجزيل، والفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير: «وفي قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] سِرٌّ

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٢٢/ ٤٨٧، وابن كثير ٨/ ٥٣، والسعدي ص٨٤٨.
(٢) تفسيره ٨/ ٥٤.
(٣) انظر: تنوير العقول والأذهان ٢/ ٧٠.

بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله، عوَّضهم اللهُ بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه، بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم»[١].

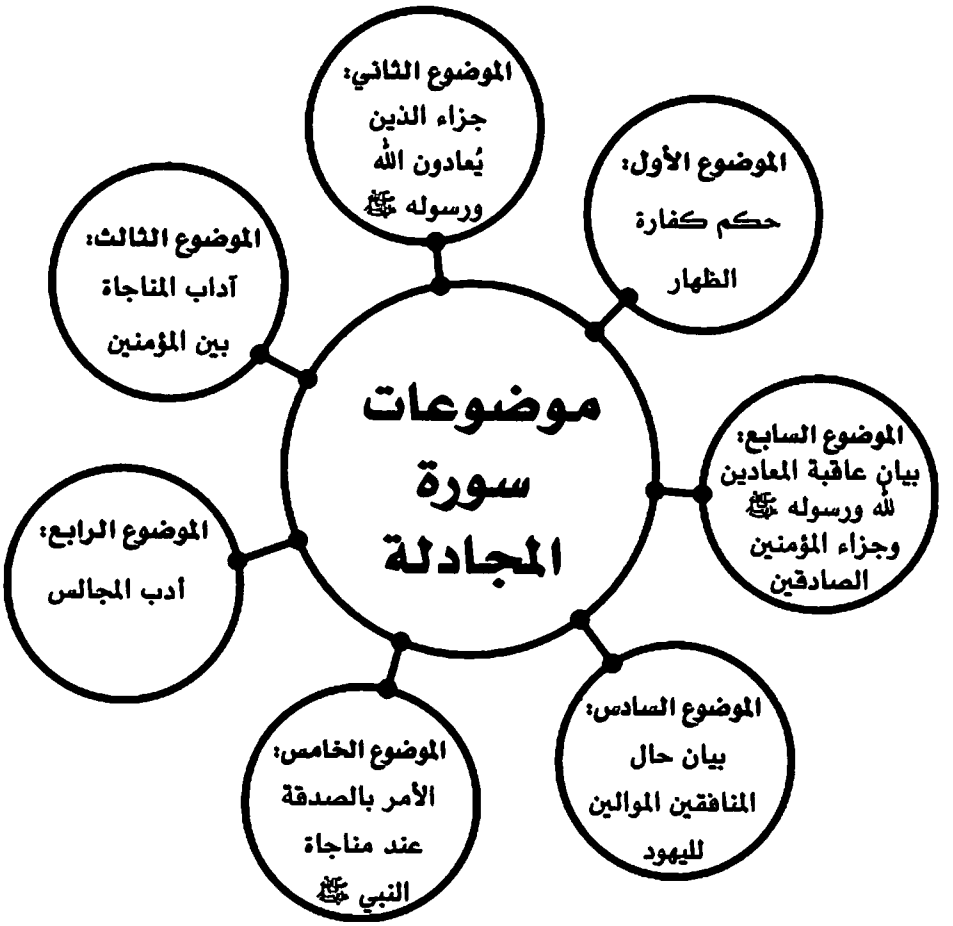

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٥٥.

الأنموذج الثالث

مفردة (الفِتْنَةُ) في القرآن الكريم، معانيها ودلالاتها

المبحث الأول

المعاني اللغوية للفتنة

الفِتْنَةُ مصدر (فَتَنَ) بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار.

قال الأزهري: «جِمَاعُ معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذٌ من قولك: فَتَنْتُ الفضةَ والذهبَ، إذا أَذَبْتَهما بالنار ليتميز الرديءُ من الجيد، ومن هذا قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات:١٣]، أي يُحرقون بالنار»[(١)].

وقال ابن فارس: «(فَتَنَ) الفاءُ والتاء والنون أصلٌ صحيح، يدل على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة، يقال: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فَتْنًا، وَفَتَنْتُ الذهبَ بالنار، إذا امتحنتَه، وهو مَفْتُونٌ وَفَتِينٌ، وَالْفَتَّانُ: الشيطان»[(٢)].

وقال ابن الأثير: «يقال: فَتَنْتُهُ أَفْتِنُهُ فَتْناً وفُتُوناً إذا امْتَحَنْتَه، ويقال فيها: أَفْتَنْتُهُ أيضاً وهو قليل، وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبارُ للمكروه، ثم كثر حتى أُستعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال، والإحراق، والإزالة، والصَّرف عن الشيء»[(٣)].

ومن الألفاظ المرادفة أو المقاربة للفتنة: لفظ الابتلاء، ولفظ الامتحان، والمراد بهما: الاختبار، كما تقدم في كلام أهل اللغة.

والفتنة أَشَدُّ الاختبار وأَبْلَغُهُ، وتكون في الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٦-١٧][(٤)].

---

(١) تهذيب اللغة ١٤/ ٢١١.
(٢) مقاييس اللغة ٤/ ٤٧٢.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤١٠.
(٤) انظر الفروق اللغوية للعسكري ص٣٩٦.

المبحث الثاني

معنى الفتنة اصطلاحاً

اختلفتْ عباراتُ أهل العلم في تعريف الفتنة اصطلاحاً، وحاصلها أن المراد بالفتنة: ما يتعرض له الإنسانُ من مكروه أو محبوب يُظْهِرُ ما يُبْطِنُهُ في نفسه من خير أو شر.

وقد عرَّفها الزمخشري بقوله: «الفتنة: الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان، ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهجر الشهوات والملاذِّ، وبالفقر والقحط، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم»[1].

وقال الجرجاني: «الفتنة: ما يتبين به حالُ الإنسان من الخير والشر»[2].

وإطلاق الفتنة على الشدة والمكروه أكثرمن إطلاقها على الخير والرخاء.

قال الراغب الأصفهاني: «والفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يُدفع إليه الإنسانُ من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، وقد قال الله تعالى فيهما: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال في الشدة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣]. . . .

والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى، ومن العبد، كالْبَلِيَّةِ والمصيبة، والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد

---

(١) الكشاف ٣/ ١٨٢.

(٢) التعريفات ص١٦٥. وانظر: فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٧٧.

ذلك، ولهذا يَذُمُّ اللهُ الإنسانَ بأنواع الفتنة في كل مكان نحو قوله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠]، ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الصافات: ١٦٢]أي: بمضلِّين...»[1].

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي واضحة، فالفتنة تُظهر ما يُبْطِنُهُ الإنسان، كما تُظهر النارُ خَبَثَ الحديد والذهب والفضَّة.

والناس إنما يتمايزون وتظهر مكنوناتُ نفوسهم وبواطنُ أحوالهم عند الفتن والبلايا والمحن، فهي اختبار للإنسان ومِعْيَارٌ لما يُبْطِنُهُ في نفسه.

(١) المفردات في غريب القرآن ص٦٢٤ بتصرف يسير.

المبحث الثالث

معاني الفتنة في القرآن الكريم

وَرَدَتْ كلمةُ (الفتنة) ومشتقاتها في القرآن الكريم ستين مرةً، في اثنتين وثلاثين سورة، تسعَ عشرةَ سورةً مكيةً، وستَ عشرةَ سورةً مدنيةً، بتصريفات متنوعة[١]، كما يلي:

١ ـ صيغة المَصْدَر، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس: ٨٥].

٢ ـ صيغة اسم الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الصافات: ١٦٢].

٣ ـ صيغة اسم المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ [القلم: ٦][٢].

٤ ـ صيغة الفعل الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠].

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٥١١ ـ ٥١٢.

(٢) وقيل إن (المفتون) هنا مصدرٌ على وزن مفعول، كالمعقول بمعنى العقل، والميسور بمعنى اليُسْر، والمعقود بمعنى العَقْد، وهذا مروي عن بعض السلف، واختاره ابن جرير، والنحَّاس، وضعفَّه ابن تيمية. انظر تفسير ابن جرير الطبري ٢٣/١٥٣ وما بعدها، وإعراب القرآن للنحاس ٥/٥، وتفسير آيات أشكلت لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٤٦ وما بعدها.

٥ ـ صيغة الفعل المضارع، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء: ١٠١].

وقد وردت (الفتنةُ) في القرآن الكريم على أَوْجُهٍ ومعانٍ متعددة، كما يلي(١):

الوجه الأول: الابتلاء والامتحان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ﴾ [طه: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

الوجه الثاني: العذاب في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

الوجه الثالث: الإحراق في النار، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذاريات: ١٤]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠].

الوجه الرابع: الشِّرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(١) انظر الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان ص٧٤، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٤٧٨، والوجوه والنظائر للدامَغاني ص٥٩١، وبعض هذه الأوجه داخلة في بعض، لكن بعض المفسرين وأصحاب الوجوه والنظائر يعدِّدون المعاني، وإن كانت من باب التفسير بالمثال أو اللازم.

الوجه الخامس: الكفر، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله ﷻ: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤]. قال مقاتل: «يعني: كفرتم، وكذلك كلُّ فتنة في المنافقين واليهود»[(١)].

الوجه السادس: الإثم والمعصية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ [الحديد: ١٤].

الوجه السابع: القتل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣].

الوجه الثامن: الصدُّ عن الدِّين، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣].

الوجه التاسع: العُذْر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

الوجه العاشر: الجنون، كما قال تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ [القلم: ٦]، أي في أيكم الجنون، أو المجنون[(٢)].

الوجه الحادي عشر: التَّسليط، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ

---

(١) الوجوه والنظائر لمقاتل ص٧٤.

(٢) وهذه الآية من الآيات المُشكلة، وفيها خلاف طويل، والأظهر أن معناها: في أيِّ الفريقين منكم يوجد المجنون، فريقك يا محمد ﷺ أو فريق الكفار. انظر اختيارات ابن تيمية في التفسير ٢/٥٩٣، وتقدَّم أولَ هذا المبحث أن هناك خلافاً في لفظ (المفتون) فقيل: هو اسم مفعول، وقيل: مصدر.

﴿كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥]، أي لا تسلِّطهم علينا، فيظنّوا أنهم على حق، وأنا على باطل، فنكون بذلك فتنةً لهم[١].

الوجه الثاني عشر: الضلال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١]، وقوله ﷻ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الصافات: ١٦١، ١٦٢] أي: بِمُضِلِّين[٢].

وهنا أُنبِّه إلى أن بعض هذه الأوجه راجعة إلى بعض، وأن بعض الآيات المذكورة فيها خلاف، فهي مثال للوجه على أحد الأقوال الواردة فيها.

وأكثر معاني الفتنة وُرُوْدَاً في القرآن الكريم هو الابتلاء والاختبار[٣].

هذا ويرى الشنقيطيُّ أن معاني الفتنة في القرآن أربعة:

الأول: الوضع في النار.

الثاني: الاختبار، وهو الأغلب في استعمال الفتنة.

الثالث: نتيجة الاختبار إذا كانت سيئةً، ومن ذلك: الكفر والشرك والضلال والمعصية.

الرابع: الحُجَّة (العذر)[٤].

والوجه الثالث لم يُسْبَقْ إلى النَّص عليه ـ حسب علمي ـ وهو وَجِيهٌ جداً؛ فإن بعض هذه الوجوه المذكورة في معاني الفتنة إنما تحصل بعد ابتلاء الإنسان بما لا يصبر عليه من شرٍّ أو خير.

وعند التأمُّل يمكن رَدُّ هذه المعاني إلى معنيين:

---

(١) وقيل المراد: لا تنصر وتسلِّط أعداءنا علينا، فيظنّوا أنهم على حق، فيكون ذلك فتنةً لهم. انظر: تفسير الطبري ٢٢/٥٦٩، و١٢/ ٢٥٠، وتفسير الماوردي ٥/٥١٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٤٧)، والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٢٢.

(٣) انظر: أضواء البيان ٤/٧٩، ٥/٥٥٩.

(٤) انظر: أضواء البيان ٥/٥٥٩، ٤/٧٩، ٥/٢٨٩، والعذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ١/٢٧٩، ٤/١٥٩٦.

الأول: الابتلاء، ويدخل فيه أكثرُ المعاني المذكورة، ومنها: الحَرْقُ بالنار في الدنيا الوارد في آية البروج، فإنه ابتلاءٌ عظيم، كما في حديث صهيب ﷺ في قصة أصحاب الأخدود وفيه: «فأمر بِالْأُخْدُودِ في أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وقال: مَنْ لم يرجِع عن دينه فَأَحْمُوهُ فيها، أو قيل له: اقْتَحِمْ»[(١)].

الثاني: نتيجة الابتلاء، ويدخل فيه: الكفر والشرك والمعصية والضلالة، ولعله يدخل في ذلك: الحَرْقُ بالنار في الآخرة، الوارد في آية الذاريات؛ فإنه جزاءٌ لهم بعد فتنتهم، قال السَّعدي عند قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾: «أي: العذاب والنار، الذي هو أثر ما افتتنوا به، من الابتلاء الذي صَيَّرهم إلى الكفر، والضلال»[(٢)].

كذلك يدخل فيه الجنون المذكور في آية القلم ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾، على القول بأن معنى المجنون: الضال، وهو مرويٌ عن الحسن البصري[(٣)].

وقال ابن كثير: «ومعنى المفتون ظاهر، أي: الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه»[(٤)].

كما يدخل في هذا النوع الثاني: العُذْرُ أو المعْذِرَة المذكور في آية الأنعام: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾.

قال ابن جرير الطبري عند هذه الآية: «الصواب من القول في ذلك أن يقال معناه: ثم لم يكن قِيْلُهم عند فتنتنا إياهم اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فوُضعتْ الفتنةُ موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام، وإنما الفتنة: الاختبار والابتلاء، ولكن لما كان الجوابُ من القوم غيرَ واقع هنالك إلا عند الاختبار، وضعت الفتنة التي

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٣٠٠ (ح٣٠٠٥).
(٢) تفسير السعدي ص٨٠٨، وانظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٤٦.
(٣) انظر: تفسير الماوردي ٦/ ٦٢.
(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة ٨/ ١٩٠.

هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم»[١].

وقال ابن عطية: «المعنى ثم لم يكن اختبارُنا لهم إذْ لم يفد ولا أثمر، إلا إنكارَهم الإشراك»[٢].

وقال القرطبي: «الفتنة الاختبار، أي لم يكن جوابُهم حين اختبروا بهذا السؤال، ورأوا الحقائق، وارتفعت الدواعي...»[٣].

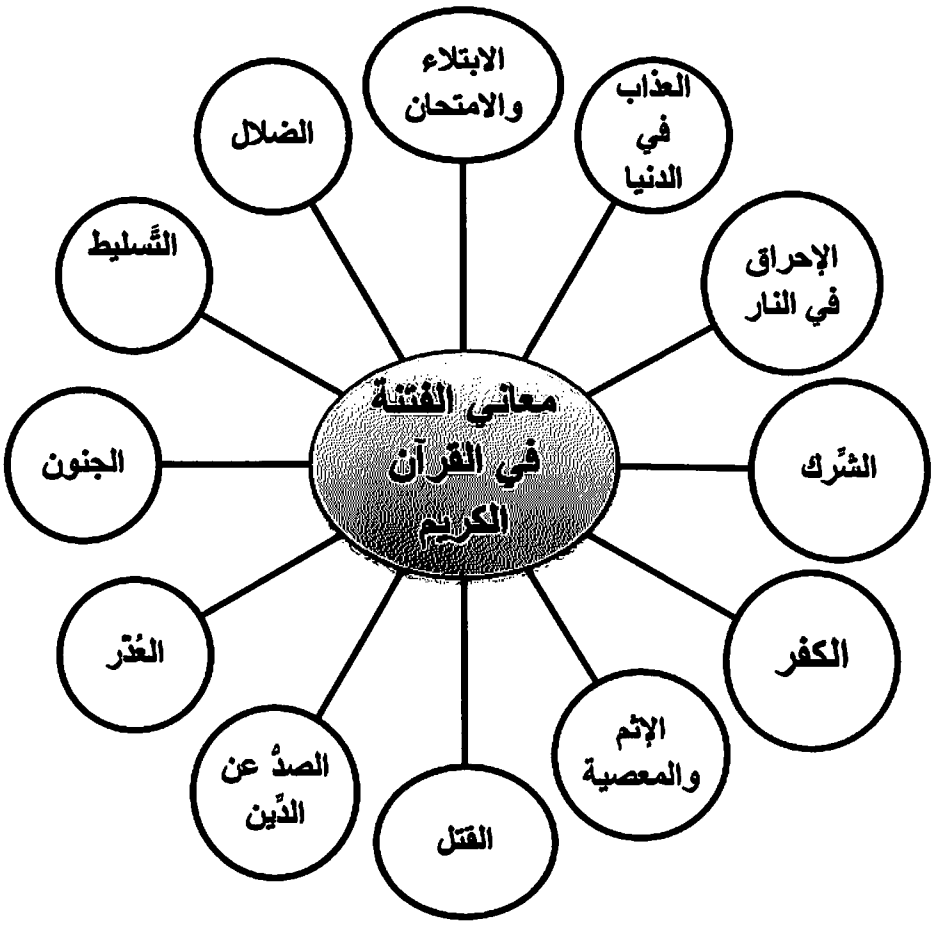

(١) تفسير الطبري ٩/ ١٩١.
(٢) تفسير ابن عطية ٢/ ٢٧٨، وانظ: رتفسير الماوردي ٢/ ١٠٢.
(٣) تفسير القرطبي ٦/ ٤٠١، وانظر: التحرير والتنوير ٧/ ١٧٦.

المبحث الرابع

أنواع الفِتْنَة في القرآن الكريم

يمكن تقسيم الفتنة إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة[١]، لكن لمَّا كان البحثُ هنا في المفردة القرآنية، وليس في موضوع الفتنة الذي يَرِدُ في القرآن الكريم بألفاظ متعددة، كان الأنسبُ تقسيمَها إلى نوعين رئيسين، يندرج تحتهما صورٌ عديدة، وهما: الفتنة بالشرِّ والشدَّة، والفتنة بالخير والرَّخاء، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قال ابن عباس ﷺ عند هذه الآية: «يقول: نبتليكم بالشدِّة والرَّخاء، والصحة والسَّقم، والغِنَى والفَقْر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، وقوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يقول: وإلينا يردُّون فَيُجَازَون بأعمالهم، حَسَنِها وسيئها»[٢].

وقال ابن كثير: «أي: نختبركم بالمصائب تارةً، وبالنِّعم أخرى، لننظر

---

(١) يرى ابنُ القيّم: أن الفتنة نوعان:
فتنة الشّبهات ـ وهي أعظم الفتنتين ـ وفتنة الشّهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما، وأن سبب فتنة الشّبهات ضعفُ البصيرة، وقلّة العلم، ولا سيّما إذا اقترن بذلك فسادُ القصد، وحصول الهوى، وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنّفاق والبدعة.
وأما النّوع الثّاني من الفتنة: ففتنة الشّهوات، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾[التوبة: ٦٩]. أي تمتّعوا بنصيبهم من الدّنيا وشهواتها، ثمّ قال: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ وهذا الخوض بالباطل، وهو الشّبهات. انظر: إغاثة اللهفان ٢/ ١٦٠.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ١٦/ ٢٦٩.

من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط»[١].

قال ابن عطية: «وقَدَّم الشرَ لأن الابتلاء به أكثر، ولأن العرب من عادتها أن تقدم الأَقَلَّ والأَرْدَى...»[٢].

والنوع الأول ـ الفتنة بالشرِّ والشدَّة ـ أكثرُ وروداً واستعمالاً في القرآن الكريم[٣].

ومن الناس من يُفْتَنُ بالخير، ومنهم يفتن بالشر، ومنهم مَنْ يفتن بهما جميعاً، نسأل الله العافية من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

النوع الأول: الفتنة بالشرِّ والشدَّة:

وفي هذا النوع وَرَدَتْ معظمُ الآيات التي جاء فيها لفظُ (الفتنة)، فمن ذلك:

ـ الفتنة بالأذى والعذاب، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣].

وتقدم ذِكْرُ معاني الفتنة في هذه الآيات في المبحث السابق.

ـ ومن ذلك: الفتنة بالشرك والكفر، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقوله ﷻ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ٣٤٢.
(٢) تفسير ابن عطية ٤/ ٨١.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٢٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤١٠.

ـ ومن ذلك: الفتنة بالإثم والمعصية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ [الحديد: ١٤].

النوع الثاني: الفتنةبالخير والرَّخاء:

ورد لفظ الفتنة في القرآن الكريم بمعنى الخير، ومنصور ذلك:

ـ فتنة الأموال والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن: ١٥].

والمراد: أن حبَّ المال والوَلَد قد يكون سبباً لمخالفة أمر الله تعالى، وانتهاك حُرُماتِه، والانشغال عن طاعته[١].

وهذا أمرٌ مشاهد، فكم من الناس فتنهم حُبُّ الأموال والأزواج والأولاد، فوقعوا في الحرام، وقصَّروا في طاعة الله تعالى وأداء حقوقه.

ـ ومن ذلك الفتنة بملذَّات الدنيا وبهجتها وشهواتها، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

قال ابن كثير: «يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما هم فيه من النعم فإنما هو زَهْرَةٌ زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور»[٢].

قال ابن عطية: «وقوله ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أبلغ من (ولا تنظر)، لأن الذي يمدُّ بصره إنما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه»[٣].

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٢، وتفسير ابن كثير ٥/ ١٦١، أضواء البيان ٢/ ٥١.
(٢) تفسير ابن كثير٥/ ٣٢٦.
(٣) تفسير ابن عطية ٤/ ٧٠.

ـ ومن ذلك الفتنة بالصِّحَّة والعافية وسَعَةِ الرِّزق، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٩].

وفي هذه الآية يخبر تعالى عن حال الإنسان، حيث يلجأ إلى الله ﷻ ويدعوه في حال الشدِّة والضراء، فإذا كشف اللهُ ضُرَّهُ وعافاه في بدنه وَوَسَّعَ معيشَتَهُ جحد نعمة الله، وزعم أنه إنما أُوتيه لعِلْم الله أنه أَهلٌ لذلك، والواقع أن ذلك امتحانٌ من الله يتميز به الشاكرُ من الكافر[١].

ومن الآيات الواردة في هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦ ـ ١٧].

«وتخصيص الماء الغَدَق ـ وهو الكثير ـ بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة، ولِعِزَّةِ وجوده بين العرب»[٢].

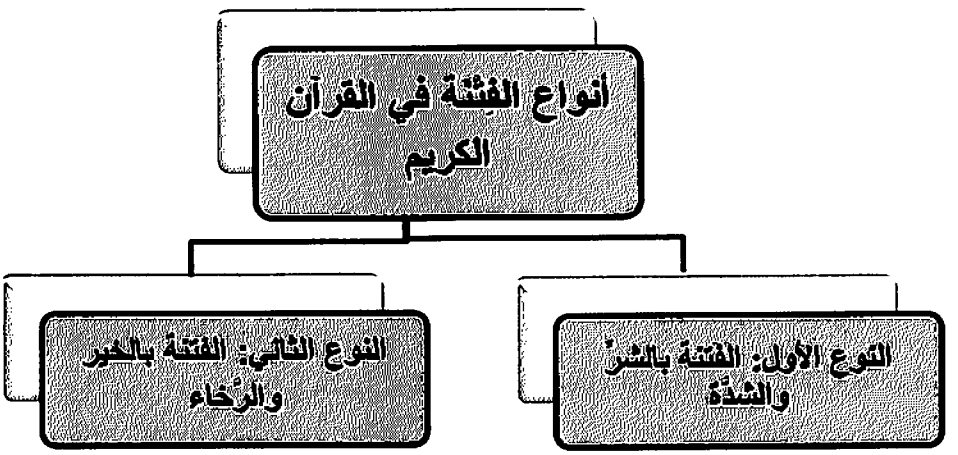

(١) انظر تفسير الطبري ٢٠/ ٢٢٠، وابن عطية ٤/ ٥٣٦، والسعدي ص ٧٢٧.
(٢) تفسير البيضاوي ٥/ ٢٥٣.

المبحث الخامس

أساليب القرآن في ذكر الفتنة

ذُكِرَتْ الفتنةُ في القرآن بأساليب متعددة، أبرزها ما يلي[١]:

١ ـ **أسلوب الأمر**، حيث جاء التحذير من الفتنة بهذا الأسلوب في تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

ففي هذه الآية يأمرُ اللهُ ﷻ رسوله ﷺ أن يَحْذَرَ فتنةَ اليهود حينما يحْتكمون إليه، فإنهم كَذَبَة كَفَرة خَوَنَةٌ، أهلُ مكرٍ وتَدْلِيس[٢].

«وإظهارُ الاسمِ الجليل (الله) لتأكيد الأمر... وإعادة ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ لتأكيد التحذير بتهويل الخَطْبِ»[٣].

وفي موضع آخر يأمر ﷻ عبادَه المؤمنين باتقاء الفتنة، التي إذا حلَّتْ عمَّتْ الظالمَ وغيره، ما لم يحصل منهم إنكارٌ وتغيير[٤]، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

والنهي في قوله تعالى: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ تأكيدٌ للأمر باتقاء الفتنة، مع زيادة التحذير بشمولها مَنْ لم يكن من الظالمين[٥].

٢ ـ **أسلوب النهي**، حيث جاء النهي عن الافتتان بالشيطان، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا

---

(١) انظر الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن الكريم ص٣٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٠.

(٣) تفسير أبي السعود ٣/ ٤٦.

(٤) انظر تفسير الطبري ١١/ ١١٥.

(٥) انظرالتحرير والتنوير ٩/ ٣١٨.

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴿٢٧﴾ [الأعراف: ٢٧].

ففي هذه الآية الكريمة ينهى اللهُ ﷻ بني آدم أن يغترُّوا بإبليس وجنوده، مبيناً لهم عداوتَه القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام، وسعيه في إخراجه من الجنة[١].

والنهي هنا وإن كان متوجهاً إلى الشيطان، فهو في الحقيقة متوجهٌ إلى المخاطبين كما في قولك: لا أَرَيَنَّكَ ههنا، مبالغةً في النهي، والمقصود: لا تمكِّنوا الشيطان من أن يفتنكم[٢].

٣ ـ **أسلوب الوعيد**، حيث توعَّدَ اللهُ تعالى الكفارَ الذين امتحنوا المؤمنين والمؤمنات (وهم أهلُ الأُخدود)[٣] فأَحْرَقُوهم بالنار، بعذاب جهنم، وعذابِ الدُّنيا المحرق[٤]، جزاءً لهم على عَمَلِهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠].

قال الحسن البصري: «انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءَه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»[٥].

٤ ـ **أسلوب الاستفهام الإنكاري**، كما قال تعالى مخاطباً المنافقين

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/ ١٣٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٢.

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٣/ ٢٢٢، التحرير والتنوير ٨/ ٧٧.

(٣) هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: إن هذه الآية في مشركي قريش، والمراد بالفتنة: الامتحان والتعذيب، ويقوِّي هذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾؛ لأن أصحاب الأُخدود قد عُلِمَ أنهم ماتوا على كفرهم». انظر: تفسير ابن جرير ٢٤/ ٢٨٠، تفسير ابن عطية ٥/ ٤٦٢، تفسير الماوردي ٦/ ٢٤٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٥، تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧١، التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٤٥.

(٤) رُوِيَ أن النار خرجت فأحرقت الكافرين القعود، وقيل: إن عذاب الحريق كائن في الآخرة، فهو قدرٌ زائدٌ على عذاب كفرهم بسبب إحراقهم المؤمنين. انظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٤٦٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٥.

(٥) تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧١.

المصرِّين على نفاقهم وعنادهم: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦].

قال ابن عاشور: «والاستفهام هنا إنكارٌ وتعجيب؛ لعدم رؤيتهم فتنتَهم فلا تعقبها توبتُهم ولا تذكُّرهم أمرَ ربهم.

والغرض من هذا الإنكار هو الاستدلال على ما تقدم، من ازدياد كفر المنافقين وتمكُّنه كلما نزلت سورة من القرآن، بإيراد دليل واضح يُنَزَّل منزلة المحسوس المرئي، حتى يتوجه الإنكار على مَنْ لا يراه.

والفتنة: اختلال نظام الحالة المعتادة للناس واضطراب أمرهم، مثل الأمراض المنتشرة، والتقاتل، واستمرار الخوف»[١].

وفي آية أخرى ينكر الله تعالى على مَنْ يظنُّ أن الناس يُتْرَكُون من غير ابتلاء وتمحيص، يقول ﷻ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: ٢].

قال ابو السعود: «قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ في قُوَّةِ أن يقال: أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة، بمجرد أن يقولوا آمنا، أو أن يقال: أحسبوا تركَهم غيرَ مفتونين بقولهم آمناً حاصلاً متحققاً، والمعنى: إنكار الحسبان المذكور واستبعاده، وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاقِّ التكاليف كالمُهَاجَرة والمجاهدَة، ورفض ما تشتهيه النفس، ووظائف الطاعات، وفنون المصائب في الأنفس والأموال؛ ليتميز المخلص من المنافق، والراسخ في الدِّين من المتزلزل فيه، ويجازيهم بحسب مراتب أعمالهم»[٢].

٥ ـ **أسلوب الدعاء**، كما ذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم ، ومن آمن معه أنهم دعوا الله تعالى ألا يجعلهم فتنةً للكافرين، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة: ٥].

قال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذِكْرُهُ مخبراً عن قِيل إبراهيم خليله

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٦٧.
(٢) تفسير أبي السعود ٧/ ٢٩.

والذين معه: يا ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بك، فجحدوا وحدانيتك، وعبدوا غيرك، بأن تسلِّطهم علينا، فيروا أنهم على حق، وأنَّا على باطل، فتجعلنا بذلك فتنةً لهم»[١].

وأخبر ﷻ عن قوم موسى عليه السلام أنهم دعوا ربهم فقالوا: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس: ٨٥]، أي لا تنصرهم علينا، فيكون ذلك فتنةً لنا عن الدين، وقيل: المعنى: لا تنصر وتسلِّط أعداءنا علينا، فيظنّوا أنهم على حق، فيكون ذلك فتنةً لهم[٢]، ولا مانع من حمل الآية على المعنين[٣].

وقد أوصى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم أن يتعوذوا من الفتن، فقال لهم: «تَعَوَّذُوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»[٤].

فينبغي للمسلم أن يلازم هذا الدعاء، ولا سيما في هذا العصر الذي كثرتْ فيه الفتن وتنوَّعَتْ، نسأل الله العافية[٥].

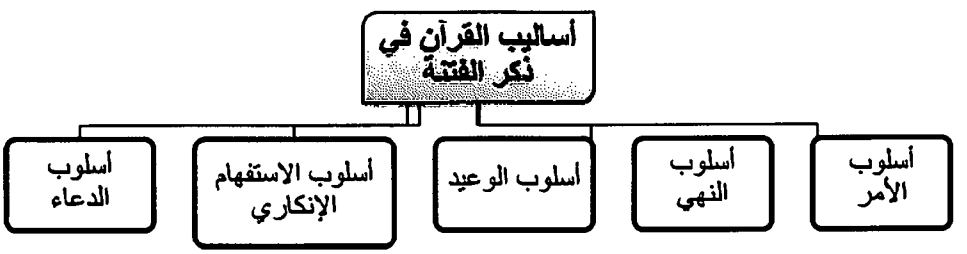

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٦٩.
(٢) انظر تفسير الطبري١٢/ ٢٥١، وتفسير القرطبي ٨/ ٣٧٠.
(٣) انظر تفسير السعدي ص٣٧٢.
(٤) أخرجه مسلم ٤/ ٢١٩٩ (ح٢٨٦٧).
(٥) قال النووي: «وقد كَثُرَتْ الأحاديثُ في الأمر بسؤال العافية، وهي من الألفاظ العامة، المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن، والباطن في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العافية العامة لي ولأحبائي ولجميع المسلمين «شرح صحيح مسلم» ١٢/ ٤٦.

أسئلة وتدريبات على القسم الثاني

أولاً: الأسئلة النظرية:

س١ عرِّف الشِّرك لغةً واصطلاحاً.

س٢ اذكر مراتب الشرك ممثلاً لها.

س٣ بيّن معالم حديث القرآن الكريم عن الشرك.

س٤ اذكر ثلاثة من أسباب الشرك الواردة في القرآن الكريم مع الاستدلال لكل واحد منها بآية.

س٥ من أساليب القرآن الكريم في النهي عن الشرك: قصص الأنبياء والأمم السابقة، مثِّل لذلك بمثالين.

س٦ اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

من مظاهر الشرك الواردة في القرآن الكريم:

أ ـ السِّحر.

ب ـ الحلف بغير الله.

ج ـ تعليق التمائم.

د ـ كل ما سبق.

س٧ ما رأيك في العبارة التالية: لم يَرِدْ في القرآن الكريم وصف شيء من المخلوقات بالبركة، وعلى هذا لا يشرع التبرُّك بالمخلوق مطلقاً.

س٨ هل آثار الشرك الواردة في القرآن الكريم حاصلة في الدنيا أو في الآخرة، وضِّح ذلك.

س٩ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ

عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، ما وجه دلالة هذه الآية على خطر الشرك وعِظم أثره.

س١٠ تحدثْ عن سورة المجادلة مبيناً: أسماءها، ومكان نزولها، وسبب نزول فاتحتها، وعدد آياتها، ومقصدها.

س١١ اذكر ثلاثة من موضوعات سورة المجادلة، مبيناً وجه ارتباطها بمقصد السورة.

س١٢ اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

قوله تعالى ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ المقصود به يفسح لكم في:

أ ـ الرزق.

ب ـ القبر.

ج ـ الصدر.

د ـ كل ما سبق.

س١٣ اذكر ثلاثة من معاني الفتنة الواردة في القرآن، مع الاستدلال لها.

س١٤ وَرَدَتْ كلمةُ (الفِتْنَةِ) في القرآن بتصريفات وصيغٍ متنوعة، اذكر ثلاثاً منها مع الاستدلال لها.

س١٥ ما رأيك في العبارة التالية: (الفتنة بالخير والرخاء أكثر وروداً واستعمالاً في القرآن الكريم؛ لأن الإنسان قد لا يشعر بها).

ثانياً: التدريبات العملية:

س١ فَسِّرْ أحدَ الموضوعات التالية تفسيراً موضوعيّاً، ملتزماً بمنهج وإجراءات الكتابة في الموضوع القرآني: الحج، برُّ الوالدين، التوبة، قصة هود عليه السلام.

س٢ فَسِّرْ أحدَ السور التالية تفسيراً موضوعيّاً ملتزماً بمنهج وإجراءات الكتابة الموضوعية في السورة القرآنية: الأنفال، الفتح، ق، الجمعة، عبس.

س٣ أُدْرُسْ مفردة (الأُمَّة) في القرآن الكريم، دراسةً موضوعية، ملتزماً بمنهج إجراءات الكتابة في المفردة القرآنية.

الخـــاتـــمـــة

وفي ختام هذا البحث أُجْمِلُ أهمَّ النتائج التي توصلتُ إليها فيما يلي:

١ ـ التفسير الموضوعي هو أحد أساليب التفسير، والمقصود به: الكشف الكلي عن موضوع من موضوعات القرآن، وفق منهج مخصوص.

٢ ـ التفسير الموضوعي أسلوبٌ جيدٌ نافعٌ في بيان معاني القرآن الكريم سواءٌ كان في مجال الكتابة أم في مجال المحاضرة، ولا سيما في علاج القضايا المعاصرة وبيان هَدْيِ القرآن فيها.

٣ ـ بالغَ عددٌ من الباحثين المعاصرين في أهمية التفسير الموضوعي، وفي سياق ذلك هوَّنوا من شأن التفسير التحليلي، وأطلقوا عليه: التفسير الموضعي، والتجزيئي، والتقليدي، وزعموا أنه وسيلة لغاية، هي التفسير الموضوعي، إلى غير ذلك من الدعاوَى الباطلة التي لا تخفى على ناظر في كتب التفسير التحليلي، ومناهج المفسرين فيه في جميع القرون.

٤ ـ التفسير الموضوعي بهذا المفهوم والمنهج لم يظهر إلا في العصر الحاضر، وتحديداً في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، أما مُطْلَقُ الجمع للآيات، وبيانُ بعضها ببعض فهو موجود منذ أن نشأ التفسير.

٥ ـ هناك عدة مجالات للتفسير الموضوعي بعضها محلّ خلاف، والذي ترجَّح لي منها اثنان هما: الموضوع القرآني، والسورة القرآنية.

٦ ـ التفسير الموضوعي له منهج خاص في الكتابة، وخطوات إجرائية لا بد من الالتزام بها، في الجمع والدراسة والصياغة.

٧ ـ عِلْمُ المناسبات له ارتباط وثيق بالتفسير الموضوعي، فهو يُعِيْنُ على فهم المعنى العام للآيات، والأغراض والموضوعات التي تتحدث عنها.

٨ ـ من المسائل المهمَّة في التفسير الموضوعي ما يسمَّى الوَحْدةَ الموضوعية في القرآن الكريم، ولا سيما في مجال دراسة السورة ومعرفة مقصدها، وهي محلُّ خلاف بين أهل العلم، والأظهر ـ والله أعلم ـ أن السور الطويلة لها أكثر من مقصد، وأما السور القصيرة فقد يكون لها غرض واحد، لكن يبقى تحديده محلَّ اجتهاد.

وأخيراً أُوصي بما يلي:

١ ـ توظيف أسلوب التفسير الموضوعي في تقريب معاني القرآن الكريم لعامة الناس، وإبراز هدايات لهم، ومعالجة القضايا المعاصرة من خلاله، سواءٌ كان ذلك في مجال الكتابة أم في مجال الخطبة والمحاضرة.

٢ ـ الالتزام بضوابط الكتابة المعروفة في التفسير الموضوعي قدرَ الإمكان.

٣ ـ التَّوَسّطِ في بيان أهمية التفسير الموضوعي، وعدم التَّهوين من شأن التفسير التحليلي، وصرف الناس عن دراسته والاشتغال به.

والحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

١ ـ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، لمحمد إبراهيم شريف، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
٢ ـ اختيارات ابن تيمية في التفسير، من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم جمعاً ودراسة، للمؤلف: إبراهيم بن صالح الحميضي، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
٣ ـ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٤ ـ أحكام القرآن، لأبي بكر الجصاص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٥ ـ إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
٦ ـ الإخلاص والشرك الأصغر، لعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، الطبعة الثانية، دار الوطن، الرياض.
٧ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨ ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، دار الفكر، بيروت.
٩ ـ أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: ماهر الفحل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، دار الميمان، الرياض.
١٠ ـ الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
١١ ـ أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
١٢ ـ أصول في التفسير، للعثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
١٣ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (تفسير محمد الأمين الشنقيطي)، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
١٤ ـ إعراب القرآن للنحاس، لأبي جعفر النَّحَّاس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

١٥ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، دار الجيل، بيروت.
١٦ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق: مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة.
١٧ ـ الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، المؤسسة السعيدية، الرياض.
١٨ ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار راسم، جدة.
١٩ ـ الإيمان، لابن تيمية، تحقيق: محمد الزبيدي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٠ ـ البحر المحيط (تفسير أبي حيان الأندلسي)، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١ ـ بدائع الفوائد، لابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢ ـ البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٣ ـ البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٥ ـ بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام مع شرحه سبل السلام، للصنعاني، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، القاهرة.
٢٦ ـ البيان القرآني، للبيومي، مجمع البحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
٢٧ ـ البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٢٨ ـ التاريخ الكبير، للبخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.
٢٩ ـ التبرك، أنواعه وأحكامه، لناصر بن عبد الرحمٰن الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
٣٠ ـ التبرك المشروع والتبرك الممنوع، لعلي العلياني، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الوطن، بيروت.
٣١ ـ الترغيب والترهيب، للمنذري، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ، مكتبة الباز، مكة.
٣٢ ـ التعريفات، للجرجاني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣ ـ تغليق التعليق، لابن حجر، تحقيق: عبد الرحمٰن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٤ ـ تفسير آيات أشكلت، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٥ ـ التفسير أساسياته واتجاهاته، لفضل حسن عباس، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣٦ ـ تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٣٧ ـ تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، كما تم الرجوع لطبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٠هـ، في موضوع الشرك.

٣٨ ـ تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٩ ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، لعبد الرحمٰن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار الباز، مكة.

٤٠ ـ تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، كما تم الرجوع لطبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، في موضوع الشرك.

٤١ ـ التفسير الكبير: مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢ ـ تفسير الماوردي، النكت والعيون، لأبي الحسن علي الماوردي، راجعه: عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية.

٤٣ ـ تفسير المراغي، لمحمد بن مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤ ـ التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، لروضة عبد الكريم فرعون، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٤٥ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الفكر، بيروت.

٤٦ ـ التفسير الموضوعي، لأحمد الكومي ومحمد القاسم، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٤٧ ـ التفسير الموضوعي بين التأصيل والتمثيل، لزيد عمر العيص، دار الحديث، الرياض، الطبعة الثانية.

٤٨ ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، لصلاح الدين الخالدي، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٩ - التفسير الموضوعي في الرسائل الجامعية، لأحمد حسن فرحات، بحث مقدم إلى مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المعقود بجامعة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة، عام ١٤٣١هـ.

٥٠ - التفسير الموضوعي في المدرسة القرآنية، لباقر الصدر، الدار العالمية للنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

٥١ - التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، لزياد الدغامين، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٥٢ - تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي، دار الكتب العلية، بيروت، تحقيق: عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٣ - تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، لعبد العزيز الضامر، جائزة دبي للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٥٤ - تنوير العقول والأذهان، لسليمان اللاحم، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٥٥ - تهذيب اللغة، للأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٥٦ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٥٧ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لعبد الرحمٰن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٨هـ.

٥٨ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، كما تم الرجوع لطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، في موضوع الشرك.

٥٩ - جامع الرسائل، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار المدني، جدة.

٦٠ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الريان، القاهرة.

٦١ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ، كما تم الرجوع لطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، في موضوع الشرك.

٦٢ - حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٦٣ ـ الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، لعبد العزيز مصطفى كامل، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار طيبة، الرياض.
٦٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٦٥ ـ درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٦٦ ـ دراسات في التفسير الموضوعي، لزاهر الألمعي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.
٦٧ ـ دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، لأحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٦٨ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، طبعة دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٦٩ ـ الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار ابن خزيمة، الرياض.
٧٠ ـ الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، لجيلان العروسي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
٧١ ـ دلائل النظام، للفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
٧٢ ـ الرد على البكري، لابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، الدار العلمية، دلهي.
٧٣ ـ تحكيم القوانين، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ، دار الوطن، الرياض.
٧٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير محمد الألوسي البغدادي)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٥ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم، تخريج وتعليق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار الصميعي، الرياض.
٧٦ ـ رياض الصالحين، للنووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
٧٧ ـ زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي)، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الفكر، بيروت.
٧٨ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٧٩ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٨٠ ـ سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، إعداد وتعليق: عزت الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، دار الحديث، بيروت.

٨١ ـ سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٨٢ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٣ ـ السنن الكبرى، للبيهقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٨٤ ـ سنن النسائي، لأبي عبد الرحمٰن النسائي، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٨٥ ـ شأن الدعاء، لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق: يوسف الدقاق، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، دار الثقافة العربية.

٨٦ ـ شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين، عنيزة.

٨٧ ـ شرح حديث ما ذئبان جائعان، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد صبحي حلاق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مؤسسة الريان، بيروت.

٨٨ ـ شرح نواقص التوحيد، لحسن العواجي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة لينة، دمنهور.

٨٩ ـ الشرك الأصغر حقيقته وأحكامه، لعبد الله السليم، رسالة ماجستير مطبوعة بالحاسب الآلي، جامعة الإمام، قسم العقيدة.

٩٠ ـ الشرك الأكبر، حقيقته وحكمه وأنواعه، لأسماء السلمان، رسالة الماجستير مطبوعة بالحاسب الآلي، جامعة الإمام، قسم العقيدة.

٩١ ـ الشرك وأنواعه، لجفري أفندي وهاب، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة، الجامعة الإسلامية، قسم العقيدة.

٩٢ ـ صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (مع فتح الباري) أخرجه وصححه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٩٣ ـ صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٤ ـ صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٥ ـ صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة الإسلامية، إستانبول.

٩٦ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية بيروت.

٩٧ ـ الصحيح المسند من أسباب النزول، لمقبل بن هادي الوادعي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة ابن حزم، بيروت.

٩٨ ـ صراع بين الحق والباطل، لسعيد صادق محمد، الطبعة الخامسة، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٩ ـ ضعيف سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠٠ ـ ضوابط التكفير عن أهل السُّنَّة والجماعة، لعبد الله بن محمد القرني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٠١ ـ عالم السحر والشعوذة، لعمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، دار النفائس، الأردن.

١٠٢ ـ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، اعتنى به: خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٤م.

١٠٣ ـ علم المناسبات بين المجيزين والمانعين، لإبراهيم بن سليمان الهويمل، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام بالرياض، عدد ٢٥، محرم ١٤٢٠هـ.

١٠٤ ـ علم مقاصد السور، لمحمد الربيعة، مركز البحوث الشرعية، جامعة القصيم، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

١٠٥ ـ العواصم من الفتن في سورة الكهف، لعبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.

١٠٦ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكَرْماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى.

١٠٧ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، صححه وأخرجه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

١٠٨ ـ فتح القدير الجامع فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار الحديث، القاهرة.

١٠٩ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

١١٠ ـ الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن الكريم، لعبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى.

١١١ ـ الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

١١٢ ـ فهرسة ابن خير الإشبيلي، لأبي بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الإشبيلي، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد معروف، دار الغرب، تونس، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

١١٣ ـ القاموس المحيط، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب، بيروت.

١١٤ ـ قرة عيون الموجدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، لعبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، مكتبة المؤيد، الرياض.

١١٥ ـ القول السديد في مقاصد التوحيد، لعبد الرحمٰن السعدي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الوطن، الرياض.

١١٦ ـ القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار العاصمة، الرياض.

١١٧ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري)، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

١١٨ ـ لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله عبد الكبير وزميليه، دار المعارف، القاهرة.

١١٩ ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٠ ـ مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار التدمرية، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٢١ ـ مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢٢ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم وابنه: محمد، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.

١٢٣ ـ مجموعة التوحيد النجدية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١٢٤ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، كما تم الرجوع لطبعة المجلس العلمي بفاس، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٢٥ ـ مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٨م.

١٢٦ ـ مدارج السالكين، لابن القيم، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٧ ـ المدخل إلى التفسير الموضوعي، لعبد الستار فتح الله سعيد، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر.

١٢٨ ـ مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي، تحقيق: عبد المحسن العسكر، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
١٢٩ ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار المعرفة، بيروت.
١٣٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.
١٣١ ـ المسند، لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٣٢ ـ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، مكتبة المعارف الرياض، تحقيق: عبد السميع حسنين، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٣٣ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري، الدار العربية بيروت.
١٣٤ ـ المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الرحمن بن محمد الحجيلي، ضمن أبحاث (ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم)، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٣٥ ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ الحكمي، مكتبة حميدو، الإسكندرية.
١٣٦ ـ معالم التنزيل (تفسير البغوي)، لأحمد محمد الحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، دار المعرفة، بيروت.
١٣٧ ـ المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه: أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار الحديث، القاهرة.
١٣٨ ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
١٣٩ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٤٠ ـ المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، لأحمد مختار عمر، مؤسسة سطور المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٤١ ـ المعجم الوسيط، إعداد: جماعة من الباحثين، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا.
١٤٢ ـ المغني، لابن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار هجر، القاهرة.
١٤٣ ـ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار العلم، دمشق.
١٤٤ ـ مقاصد المكلفين، لعمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ، دار النفائس، الأردن.

١٤٥ ـ **مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

١٤٦ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٧ ـ **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية**، لسامر رشواني، دار الملتقى، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٤٨ ـ **منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك**، لإبراهيم الحميضي، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

١٤٩ ـ **منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية تأصيل ونقد**، لجهاد محمود النصيرات، بحث مقدم إلى مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المعقود بجامعة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة، عام ١٤٣١هـ.

١٥٠ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

١٥١ ـ **النبأ العظيم**، لمحمد عبد الله دراز، اعتنى به: عبد الحميد الدخاخني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٥٢ ـ **النشر في القراءات العشر**، لمحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥٣ ـ **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٥٤ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين البقاعي، مصورة عن الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

١٥٥ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت.

١٥٦ ـ **نواقض الإسلام القولية والعملية**، لعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، دار الوطن، الرياض.

١٥٧ ـ **الوجوه والنظائر للدامَغاني**، تحقيق فاطمة الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٥٨ ـ **الوجوه والنظائر**، لمقاتل بن سليمان، تحقيق حاتم الضامن، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
أهداف مقرر التفسير الموضوعي	٩
القسم الأول	
التأصيل	١١
المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي	١٣
المبحث الثاني: أهمية التفسير الموضوعي وفوائده	١٨
المبحث الثالث: نشأة التفسير الموضوعي وأهم المؤلفات فيه	٢١
المبحث الرابع: مجالات التفسير الموضوعي	٢٦
المبحث الخامس: خطوات البحث والكتابة في التفسير الموضوعي	٣١
المبحث السادس: علم المناسبات وعلاقته بالتفسير الموضوعي	٣٩
المبحث السابع: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم	٥١
أسئلة وتدريبات على القسم الأول	٥٧
القسم الثاني	
نماذج تطبيقية في التفسير الموضوعي	٦١
الأنموذج الأول: الشِّرك أسبابه ومظاهره وآثاره في ضوء القرآن الكريم	٦٣
مقدمة	٦٥
تمهيد: تعريفُ الشِّرك ومراتبُهُ وحديث القرآن عنه	٦٧
الفصل الأول: أسباب الشرك في ضوء القرآن الكريم	٧١
مدخل	٧٣
المبحث الأول: الإعجاب والتعظيم والغلو في المخلوقين	٧٥

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: التقليد	٧٨
المبحث الثالث: اتباع الهوى	٨٢
المبحث الرابع: الكبر	٨٥
المبحث الخامس: إهمال العقل وعدم التفكر في آيات الله تعالى	٨٩
الفصل الثاني: مظاهر الشرك الواردة في القرآن الكريم	٩٣
المبحث الأول: مظاهر الشرك الاعتقادية في ضوء القرآن الكريم	٩٥
المطلب الأول: شرك المحبة	٩٥
المطلب الثاني: شرك الخوف	٩٨
المطلب الثالث: الرياء	١٠١
المطلب الرابع: التَبَرُّك	١٠٤
المبحث الثاني: مظاهر الشرك العملية في ضوء القرآن الكريم	١٠٨
المطلب الأول: الشرك في الطاعة	١٠٨
المطلب الثاني: السحر	١١٣
المبحث الثالث: مظاهر الشرك القولية في ضوء القرآن الكريم	١١٦
المطلب الأول: شرك الدعاء	١١٦
المطلب الثاني: نسبة النعم إلى غير الله	١٢٢
الفصل الثالث: آثار الشرك في ضوء القرآن الكريم	١٢٧
المبحث الأول: الشرك أعظم الذنب وأظلم الظلم	١٢٩
المبحث الثاني: الشرك يهدر الدم والمال	١٣٣
المبحث الثالث: الشرك محبط لجميع الأعمال	١٣٦
المبحث الرابع: تحريم الجنة على المشرك وخلوده في النار	١٣٩
خاتمة موضوع الشرك	١٤١
الأنموذج الثاني: مثال تطبيقي لتفسير سورة تفسيراً موضوعياً: سورة المجادلة دراسة موضوعية	١٤٣
التعريف بالسورة	١٤٥

الموضوع	الصفحة
حكم كفارة الظِّهار	١٥٠
جزاء الذين يُعادون الله ورسوله ﷺ	١٥٥
آداب المناجاة ببين المؤمنين	١٥٨
أدب المجالس	١٦١
الأمر بالصدقة عند مناجاة النبي ﷺ	١٦٤
بيان حال المنافقين الموالين لليهود	١٦٧
بيان عاقبة المعادين لله ورسوله ﷺ وجزاء المؤمنين الصادقين	١٧٠
الأنموذج الثالث: مثال تطبيقي لتفسير مفردة قرآنية تفسيراً موضوعياً: مفردة (الفِتْنَةُ) في القرآن معانيها ودلالاتها	١٧٣
المبحث الأول: المعاني اللغوية للفتنة	١٧٥
المبحث الثاني: معنى الفتنة اصطلاحاً	١٧٦
المبحث الثالث: معاني الفتنة في القرآن الكريم	١٧٨
المبحث الرابع: أنواع الفِتْنَةُ في القرآن الكريم	١٨٤
المبحث الخامس: أساليب القرآن في ذكر الفتنة	١٨٨
أسئلة وتدريبات على القسم الثاني	١٩٢
الخاتمة	١٩٤
فهرس المراجع	١٩٦
فهرس الموضوعات	٢٠٦